

## الفصل الرابع

### تربية الطفل في الفكر التربوي الإسلامي

من الواضح أن للإسلام نظرة تربوية واضحة المعالم تشكل الإطار العام للتربية التي تقوم على أساسه، وهذه التربية هي التربية الإسلامية التي من مسئولياتها تربية الأفراد على نحو ما يهدف إليه الإسلام، ولما كانت التربية لا تعنى مجرد إكساب الناشئ كماً معرفياً صغراً أم كبير بسط أو عقد، وإنما تهتم بالدرجة الأولى بالإضافة إلى ذلك إكساب الناشئ بالكثير من السمات والقيم والعادات والميول ما يحيله من مجرد كائن حي يأكل ويشرب ويتناسل وينام وغير ذلك من العمليات الحيوية إلى إنسان يفكر ويتخيل ويتصور ويخطط ويدبر ويبدع ويبتكر، من مجرد كائن حي يغدوريشه في مهب ريح قوى الطبيعة العاتية إلى إنسان له من الإرادة ما يمكنه من تفسير هذه القوى فيما فيه مصالحه ومنافعه. وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية الإسلامية تعمل على تكوين الشخصية الإنسانية الإسلامية المتكاملة، ومن هنا كان اهتمام المربين بهذا المجال وبالتالي كان على الكاتب أن يوضح مفهوم التربية الإسلامية كما تناولها المربون. لكن قبل توضيح مفهوم التربية الإسلامية ينبغي الإشارة إلى أن هناك تبايناً في استخدام مصطلح التربية الإسلامية بين المربين والباحثين، وذلك على النحو التالي:

- بعض الباحثين استخدموا مصطلح التربية الإسلامية ليشيروا به إلى ما كان لدى المسلمين من مؤسسات تربوية، وبعض الممارسات والتوجهات التي تتعلق بالتربية والتعليم، وكان مفهوم التربية الإسلامية يعنى لديهم تاريخ التربية عند المسلمين أو ما كان لدى المسلمين من مؤسسات تربوية ومفاهيم وطرق تدريس.

- والبعض استخدم مصطلح التربية الإسلامية بمفهوم تاريخ الفكر التربوى عند المسلمين. حيث بحثوا تحت هذا المصطلح الفكر التربوى الذى كان يسود المجتمعات الإسلامية وربطوه ببعض العلماء المهتمين مثل ابن سحنون، القابسى، الغزالى، ابن سينا، ابن خلدون.

- وبعض الباحثين المحدثين والذين يهتمون بقضية التربية والتعليم، استخدموا مصطلح التربية الإسلامية ليشيروا به إلى أن التربية الإسلامية تعنى النظام التربوى الذى جاء به الإسلام ليكون أداة التغيير الثقافى والاجتماعى فى جميع المجتمعات البشرية، وأداة صياغة الإنسان وتوجيهه ورعاية جوانب موهبه بما ينسجم مع فطرته، أن أنها التربية الشاملة القائمة فى كل جانب منها على الإسلام والمنبثقة أساساً من حدود الإسلام ومعانيه.

### مفهوم التربية الإسلامية

اهتم المربون والباحثون بمفهوم التربية الإسلامية، وفيما بلى توضيح ذلك: يرى بعض المربين أن التربية الإسلامية هى عملية تنمية وتغذية لمواهب الإنسان بصورة مترنة، وهى بهذا تتعهد ببناء الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة.

والبعض يرى أن التربية الإسلامية، هى تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتطعيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض تحقيق أهداف الإسلام فى شتى مجالات الحياة ويرى البعض أن التربية الإسلامية، هى العملية المقصودة التى تستهدف المحافظة على فطرة الإنسان وإعداد شخصيته بجميع أبعادها منذ ولادته حتى وفاته وفقاً لأحكام الإسلام وتوجيهاته.

ويرى البعض أن التربية الإسلامية، تعنى الجهود المقصودة التى تبذل لإحداث تغيير مرغوب فى المواطن والوطن فى ضوء هدى الشريعة الإسلامية من ناحية، وفى ضوء روح العصر ومطالبه من ناحية أخرى.

والبعض يرى أنها تلك المفاهيم التي ترتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها نشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والروحية والاعتقادية والأخلاقية والإبداعية، وذلك في ضوء المبادئ العامة التي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها.

ويرى البعض أنها مجموعة من التصرفات العملية والقيمية المأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أو الاجتهاد في ضوءها، والتي يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر بهدف مساعدته في اكتمال جوانب نموه وفتح استعداده وتوجيه قدراته وتنظيم طاقاته ليتمكن من ممارسة الأنشطة وتحقيق الغايات التي يحددها الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام، كما عرفت بأنها النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل، وعرفت بأنها ذلك النظام التعليمي والتربوي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقاً وسلوكاً مهماً كانت حرفته أو مهنته.

وأخيراً يرى البعض أنها النشاط الفردي والاجتماعي الهادف لتنشئة الإنسان فكرياً وعقيدياً ووجدانياً واجتماعياً وجسماً وجمالياً وخلقياً وتزويده بالعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام.

يتضح من التعريفات السابقة أنها تؤكد على حقيقة هامة، وهي أن التربية الإسلامية تستمد موجهاتها وفلسفتها وأهدافها من الشريعة الإسلامية، كما أنها لا تعمل في عزلة عن التوجيهات الإسلامية سواء في إطارها النظري أو الجانب التطبيقي لها، كما أنها لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الفرد وإنما تعمل على تنمية جميع جوانبه المختلفة سواء كانت الجسمية والعقلية والاجتماعية والوجدانية بهدف تكوين المواطن السليم المنتج.

هذا بالإضافة إلى أن التربية الإسلامية تربية تقوم على إرادة واعية وموجهة بمعنى أنها مقصودة، وهذا لا يمنع أن تحدث أحياناً من خلال مواقف غير مقصودة، كما أنها تعتبر تربية هادفة بمعنى أنها تمكن الإنسان من القيام بالأنشطة والممارسات المحققة لغايات الإسلام وأهدافه في بناء الفرد والمجتمع والحضارة، وأيضاً مستمرة مع الإنسان في جميع مراحل نموه منذ تكوينه حتى وفاته.

إن مفهوم التربية الإسلامية يتميز عن غيره من مفاهيم التربية بما يلي:

- إن التربية الإسلامية تستمد أهدافها ومناهجها وأساليبها ووسائلها من مصادر الشريعة الإسلامية.
- إن التربية الإسلامية لا تربي الفرد لهذه الحياة الدنيوية فقط بل تربيته للدنيا والآخرة.
- إن التربية الإسلامية تركز على الجانبين المادي والروحي في الإنسان وتراعي في ذلك الشمول والتكامل.

- إن التربية الإسلامية تتخذ من التوحيد أساساً لكل ما صاغه الإسلام للمسلمين من تشريعات واضحة وحدود صريحة وقوانين نافذة تعادلت فيها الحقوق والواجبات وتساوى فيها الجهد والجزاء، وكفلت فيها ضمانات المعيشة المادية و ضمانات العدالة القانونية، وتكاملت فيها عناصر البقاء والاستمرار.
- والتوحيد هنا يعنى أن يضع الإنسان خالقه أمامه فى كل سلوك يسلكه أو أمر يريده أو نية يتجه إليها.
- إن التربية الإسلامية ليست الحرية فيها حرية مطلقة يمكن للفرد أو الجماعة فيها ممارسة أى نشاط، وإنما الحرية فيها حرية مقيدة سواء أكانت حرية شخصية أو جماعية أو حضارية.
- فالحرية التى كفلها الإسلام حرية كفيلة حفاً للحفاظ على إنسانية الإنسان وتلتقى مع طبيعته الخاصة وواقع فهم الإسلام.
- إن التربية الإسلامية تربية ملتزمة بالأداب والقيم الإسلامية بعكس التربيات الأخرى، ومنها مثلاً التربية التى تبرر كل وسيلة لتحقيق وحدتها ولو تم ذلك عن طريق سلطة مطلقة لحاكم جبار لا تقيم وزناً للمعايير الإنسانية أو الخلقية، مستخدماً أسلوب المصلحة والمنفعة فقط.
- إن التربية الإسلامية تنفرد بأنها تتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان مخلوق لله بغض النظر عن دينه أو جنسه أو عرقه أو أصله أو لغته.
- إن التربية الإسلامية تربية تتفق مع الجانب الفطرى فى الإنسان بحيث إذا خاطبت فيه هذا الجانب استجاب وأطاع ما لم يجبر على غير ذلك أو يقع تحت ضغط مؤثر يصعب التخلص منه.
- إن التربية الإسلامية تنفرد عن التربيات الأخرى من حيث أن البيت هو أهم طرق لتنشئة الطفل تنشئة سليمة.

- إن التربية الإسلامية تنفرد بأنها تريد الخير للناس جميعاً ومنطلقها الأساسي أن الإسلام يغرس في بنية حب الخير للناس جميعاً وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور، والوصول بهم إلى المشارف الحضارية الراقية.  
وبعد التعرف على مفاهيم التربية الإسلامية ينتقل الكاتب إلى عرض رواد الفكر التربوي الإسلامي.

### رواد وأعلام الفكر التربوي الإسلامي :

الباحث في الأدب التربوي يلاحظ أن هناك العديد من الشخصيات التي ساهمت في الفكر التربوي بآرائها وفكرها، ولهذا تجدر الإشارة إلى أشهر هؤلاء المفكرين كما جاء في التراث التربوي. فالعض حدد أشهرهم على النحو التالي:  
ابن سحنون (ت ٢٤٠هـ) وابن محمد (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٢م) ثم الأجرى (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) الخوارزمي (ت ٣٧٧هـ/ ٩٩٧م) القابسي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وابن الجزار القيرواني (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) وابن عفيف (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) وحاجي خليفة (ت ٦٨٠م) وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) والزرنوحي (ت ٥٩١هـ/ ١١٩٥م) وابن جماعة (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) وابن الحاج العبدري (ت ٣٣٧هـ) والمغراوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) وابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م)، هذا بالإضافة إلى برهان الدين الأقصري والقطموني والعاملي، وابن يحيى زكريا الأنصاري وخاشي كبرى زادة وغيرهم.

أما البعض فقد حدد أئمة الفكر التربوي الإسلامي في سبعة أعلام وجماعة فكرية منظمة واحدة، وهم:

١- **ابن سحنون**؛ وهو محمد بن أبي سعيد سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب الخنوحى ولد وتوفى فى القيروان (٢٠٢هـ/ ٢٥٦هـ) ورسالته فى التربية وهى «كتاب آداب المعلمين».

- ٢- **القايصي**: هو الفقيه القيرواني أبو الحسن علي بن محمد بن خلف (٥٣٤٢هـ/ ١١٤٠٢هـ) ورسالته في التربية هي «الرسالة المعصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين».
- ٣- **إخوان الصفا**: وهم واضعو رسائل إخوان الصفا المشهورة، وقد ازدهرت حركتهم في القرن الرابع الهجري.
- ٤- **الغزالي**: الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري من فقهاء الشافعية الأشعرية (٤٥٠-٥٠٥هـ) ورسالته في التربية «أيها الولد»، ولكنه عالج التربية في كتابه الأكبر «إحياء علوم الدين».
- ٥- **الطوسي**: الشيخ أبو عبد الله نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ) الفلكي الرياضي الفيلسوف مؤسس أكبر مرصد في العالم الإسلامي مرصد مراغة، أما رسالته في التربية فهي «كتاب آداب المتعلمين».
- ٦- **ابن جماعة**: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حزم بن صقر قاضي القضاة بدر الدين الكنانى الحموي الشافعي (٦٢٩-٧٣٣هـ) ورسالته في التربية هي «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم».
- ٧- **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي التونسي (٧٣٢-٨٠٨هـ) وقد اشتهر ابن خلدون بـ «المقدمة» التي وضعها لكتابه المعروف في التاريخ باسم «كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر»، وفي هذه المقدمة شرح ابن خلدون آرائه التربوية.
- ٨- **ابن حجر الهيتمي**: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي من إقليم الغربية في مصر حيث ولد عام (٩٠٥هـ) وتوفي في مكة

ودفن فيها عام (٩٧٤هـ) ورسالته في التربية هي « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ».

ومن الملاحظ أن الكاتب قد برر هذا الحصر لهؤلاء العلماء في أنهم قد كرسوا فكرهم وجهدهم لتكوين آراء وأفكار ورسائل متكاملة في التربية من حيث طبيعتها ومقوماتها الاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

وبعض حدد المفكرين المسلمين طبقاً للموقع الجغرافي وذلك على النحو التالي:

- فمن أشهر الفلاسفة المسلمين الذين برزوا في الشرق الإسلامي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٩٩هـ / ٨٠١م-٨٣٣م) وأبو نصر محمد الفارابي (٢٦٠-٣٣٩هـ / ٨٧٤-٩٥٠م)، وأبو الحسن بن عبد الله بن سينا (٣٧٠-٤٢٤هـ / ٩٨٠-١٠٣٧م) وأبو علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه (٣٢٠-٤٢١هـ / ٩٣٢-١٠٣٠م) وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ / ١٠٥٨-١١١١م).

- ومن أشهر الفلاسفة المسلمين الذين برزوا في المغرب الإسلامي محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي المتوفى (٣١٩هـ / ٩٣١م) وابن حزم الأندلسي الطاهري المتوفى عام (٤٥٦هـ)، وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤-٥٢١هـ)، وأبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة المتوفى (٥٣٣هـ / ١١٣٨م) وأبو بكر بن طفيل المتوفى عام (٥٨١هـ / ١١٨٥م) والوليد محمد بن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ / ١١٢٦-١١٩٨م) والفيلسوف الصوفي محي الدين بن عربي المتوفى (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) وفيلسوف الاجتماع والتاريخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ / ١٣٣٢-١٤٠٦م).

وأخيراً قسم البعض المفكرين الإسلاميين « أعلام الفكر التربوي الإسلامي » طبقاً للمنهج الذي انتهجوه في التربية وذلك على النحو التالي:

○ أعلام هجروا في التربية منهج أهل السنة في:

أ - الاعتماد على الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة.

ب- احترام الإجماع والقياس.

و يمثل هؤلاء: ابن سحنون، الزرنوجي، القابسي، ابن عبد البر.

○ أعلام هجوا في التربية مهج أهل الفلسفة:

حيث جمعوا بين المنهج الإسلامي والمنهج السياسي ومنهج الفلسفة اليونانية.

و يمثل هؤلاء: الفارابي، ابن سينا، ابن مسكويه، إخوان الصفا.

○ أعلام هجوا في التربية منهج المتصرفين:

يمثلهم الإمام الغزالي.

○ أعلام هجوا في التربية مهج المذهب الاجتماعي:

و يمثل هؤلاء: ابن خلدون، ابن حجر الهيتمي.

يتضح من ذلك أن هناك العديد من أعلام الفكر التربوي الإسلامي، ومن

الصعب عند دراسة الفكر التربوي الإسلامي من منظور هؤلاء الأعلام كلهم في

دراسة واحدة. ولذا فإن الكاتب سيأخذ في دراسته الحالية بالتقسيم الأخير « طبقاً

للمنهج الذي أتبعه هؤلاء الأعلام»، واختار أربعة أعلام فقط وهم القابسي باعتباره

مثلاً للذين هجوا منهج أهل السنة، وابن سينا باعتباره مثلاً للذين هجوا منهج

أهل الفلسفة، والإمام الغزالي باعتباره مثلاً للذين هجوا منهج الصوفية، وابن

خلدون باعتباره مثلاً للذين هجوا منهج المذهب الاجتماعي.

وقبل أن يتناول الكاتب جوانب تربية الطفل من منظور الفكر الإسلامي

(مثلاً في آراء وأفكار الأعلام الأربعة) ينبغي الإشارة إلى كل واحد منهم في نبذة

مختصرة.

#### ١- القابسي:

هو أبو الحسن علي بن محمد خلف المعافري المعروف بالقابسي ولد

بالقيروان سنة (٥٢٢٤/٩٢٥م) وتوفي عام (٥٤٠٣/١٠١٢م).

ولم يكن أبو الحسن قابسياً وإنما كان له عم يشد عمامته ضد القابسيين فسمى بذلك، وهو قيرواني الأصل، وقد أجمع الذين ترجموا للقابسي على أنه كان حافظاً للحديث إماماً فيه عالماً بمتونة وأسانيده، معروفاً بالصلاح والتقوى والورع، وكان يجمع بين العلم والعبادة، كثير الخشية من الله تعالى، رقيق القلب، نزيه الذفس، محباً للفقراء.

وله مؤلفات كثيرة تصل إلى خمسة عشرة كلها في الفقه والحديث والمواعظ باستثناء واحد أفرده القابسي لشئون التعليم في الإسلام، هي رسالته المتصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

## ٢- ابن سينا :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس، لقب بالشيخ لمكانته العلمية، ولقب بالرئيس لاشتغاله بالسياسة، وتقلد الوزارة مرتين في همدان، ويذكر أنه ولد عام (٥٢٧٠هـ) والعض يرى أنه ولد عام (٥٢٧٥هـ)، وتوفى في يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان عام (٥٤٢٨هـ) في همدان. وأرجح الأقوال أنه ولد في قرية أقشنة على مقربة من بخارى عام (٥٢٧٠/٥٢٨٠م) من أسرة إسماعيلية تهتم بالعلوم العقلية والمباحث الفلسفية، مما كان له أثره على حياة ابن سينا العلمية.

وقد حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، واطلع على كثير من الأدب، ودرس الفقه على يد أبي محمد إسماعيل بن الحسيني المعروف بالزاهد، من أشهر الفقهاء الحنفيين، ثم درس المنطق والفلسفة، ثم درس ابن سينا بنفسه علم الطب دراسة عميقة أتاحت له أن يصبح أشهر أطباء عصره، كما اشتغل بالمعالجات المقتبسة من التجربة، ثم أخذ يدرس الفلسفة بكل أجزائها دراسة عميقة، وقد تتلمذ على الفارابي في كتبه.

أهم مؤلفاته: لابن سينا العديد من المؤلفات من أهمها: الشفاء، النجاة، الإشارات والتنبيهات، الهداية، عيون الحكمة، حد الجسم، النفس الفلكية، النهاية واللانهاية، الفلك والمنازل / المختصر في علم الهيئة، الفصول الثلاثة، تفسير أية ﴿فَرُّنُمْ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ، المسائل الحكمية، أقوال الشيخ في الحكمة، رسالة الأجرام العلوية، رسالة في إبطال أحكام النجوم، رسالة عن علة قيام الأرض في وسط السماء، المناحئآت، الإنصاف، إيضاح البراهين في مسائل عويصة، التعليقات، رسالة في الحدود، أقسام العلوم العقلية، رسالة في أجوبة مسائل سأل عنها أبو يجان البريوني، جواب لسؤال بعض المتكلمين.

ومن أهم مبادئه التربوية ما يلي: شمولية التربية، مراعاة استعدادات الطفل الفطرية وغرائزه الطبيعية، التنشئة الاجتماعية والتربية الأخلاقية، التوجيه والإرشاد المناسب، المربي وخصائص المعلم الناجح، القدوة في التربية.

### ٣- الإمام الغزالي:

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ولد بطوس من أعمال خراسان فارس عام (١٠٥٠هـ/١١٠٥م)، ومن المرجح أن تسميته بالغزالي ترجع إلى مهنة والده وهي غزل الصوف، وهناك من يقول أنها نسبة إلى غزاة وهي بلد ينسب إليها، ويعتبر الغزالي من أكبر مفكري الإسلام المدافعين عنه، ولذا سمي بحجة الإسلام.

توفى والده وهو صغير، وأوصى أحد أصدقائه من الصوفية بأن يقوم على تربيته وأخيه، وقد اهتم الصوفى بذلك حتى نفذ المال الذي خلفه الأب فنصحهما بالالتحاق بإحدى المدارس التي كانت توفر لتلاميذها العلم ومصرفات الحياة، ويبدو أن تعليم الغزالي الأولى قد بدأ حوالي السابعة من عمره وشمل إتقان اللغتين العربية والفارسية والقرآن الكريم ومبادئ الدين، كما درس الفقه والتفسير والحديث، وفي الخامسة عشرة من عمره رحل إلى جورجيا لدراسة الفقه ثم عاد

إلى طوس، ثم بعد ثلاث سنوات رحل إلى نيسابور حيث درس الفقه والكلام والمنطق. ثم بدأ ينفخس في السياسة والاتصال بالحكام وعمره ثمانية وعشرون عاماً تقريباً إذ سافر إلى نظام الملك الوزير السلجوقي.

درس الغزالي الفلسفة بعمق خلال قيامه بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد وكانت المؤثرات الصوفية كثيرة وقوية في حياة الغزالي. فالعصر الذي يعيش فيه انتشر فيه التصوف، ولأب المحب للصوفية، والوصي الصوفي، والأخ الذي تصوف في فترة مبكرة والأساتذة الذين يميلون إلى التصوف. ونظام الملك الوزير الذي كان يقرر الصوفية، ثم دراسة التصوف. كل ذلك من شأنه أن يدفع الغزالي التي التصوف.

وترك الغزالي ما يزيد عن سبعين مؤلفاً في الدين والفلسفة والجدل، ومن

أهم مؤلفاته:

- إحياء علوم الدين وهو كتاب جامع في الكلام والفقه والأخلاق.
- أيها الولد: رسالة كتبها لأحد تلاميذه إجابة لبعض مسائل توجه بها إليه.
- تهافت الفلاسفة، وهو الكتاب الذي دحض به الفلاسفة.
- المنقذ من الضلال، وصف فيه الغزالي حياته الفكرية في تطورها من الدراسة المستفيضة إلى الشك والخيرة ثم اليقين وطمأنينة النفس.

٤- ابن خلدون؛

يعتبر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من الشخصيات الإسلامية في فترة العصور الوسطى، ولد في تونس عام (١٣٣٢/٥٧٣٢م) وتوفي بالقاهرة ودفن في مقابرها عام (١٤٠٦/٥٨٠٨م).

حفظ القرآن الكريم، ودرس علومه، كما درس الحديث الشريف والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ، يضاف إلى ذلك كله دراسة المنطق والفلسفة.

- لقد جلس ابن خلدون للتدريس في أكثر البلدان التي حل بها، وكانت المساحد الكبرى والمدارس الشهيرة دون سواها مقاراً لحلقات دروسه.
- ومن أهم الأماكن التي قام بالتدريس فيها جامع القرويين في فاس، والجامع الأزهر في القاهرة، المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص في الفسطاط، والمدرسة الظاهرية البرقوقية في حي بين القصرين في القاهرة المعزية.
- وقد قسم البعض حياة ابن خلدون العلمية والعملية إلى أربع مراحل متميزة:
- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمي، واستغرقت حوالي عشرين عاماً تمتد منذ نشأته حتى عام (٥٧٥١هـ) قضاها في حفظ القرآن الكريم وتجويده والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلم.
  - المرحلة الثانية: مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية، واستغرقت زهاء خمسة وعشرين عاماً تمتد ما بين عام (٥٧٥١هـ) إلى عام (٥٧٧٦هـ) قضاها متنقلاً بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وبعض بلاد الأندلس، وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بعض وقته وجهوده في هذه المرحلة.
  - المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف واستغرقت نحو ثمان سنين تمتد حتى سنة (٥٧٨٤هـ) تفرغ فيها تفرغاً كاملاً لتأليف كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، وهو تاريخ شامل لأخبار العرب وأجيالهم منذ بدء الخليقة إلى العصر الذي عاش فيه ابن خلدون، ويطلق على القسم الأول من هذا الكتاب مقدمة ابن خلدون.
  - المرحلة الرابعة: مرحلة وظائف التدريس والقضاء واستغرقت حوالي أربعة وعشرين عاماً، وتمتد حتى وفاته عام (٥٨٠٨هـ) قضاها كلها في مصر وتقوم رؤية ابن خلدون في التعليم على مجموعة من المبادئ الأساسية، من أهمها:

الأول: إن الاستعداد والقبول لتلقى العلم ينشآن تدريجياً في حياة المتعلم، إذ يكون المتعلم في أول الأمر عاجزاً عن الفهم المجرد، فلا بد من تقريب المعلومات إلى ذهنه بالأمثلة الحسية.

الثاني: هو أنه إذا حصل الدارس على ملكه ما (قدرة) في علم من العلوم استعد بها لتقبل العلم الذي يليه، بل إنه غالباً ما يطلب المزيد منه.

الثالث: إن التعليم ينبغي أن يكون بالتشويق والترغيب حتى لا ينفر الدارس من تلقى العلم.

الرابع: أن على الدارس أن يتابع تحصيله وينمي فكره، فإن المتابعة تثبت المعرفة، وتجعل الدارس قادراً على متابعة فكره وتجديده وتحديثه.

الخامس: إن الدارس ينبغي عليه ألا يشتت ذهنه بين مسألتين مختلفتين بحيث يصعب عليه فهمهما في آن واحد، لذا ينصح ابن خلدون أن يتفرغ الدارس لتناول مسألة واحدة قبل الانتقال إلى المسألة الثانية بحيث يصبح الانتقال من مسألة إلى أخرى بعد فهم تام للمسألة السابقة.

السادس: إن ابن خلدون يحث على التدرج مع التكرار في تلقين المعلومات للدارس على أن يكون التعليم شيئاً فشيئاً، فيلقى على الدارس مسألة ما ثم يعاد تكرارها حتى يحفظها تماماً، ثم بعد ذلك تعطى له مسألة أخرى، وهكذا يكون التكرار وسيلة لتثبيت المعلومات الماضية والتقدم للحصول على المعلومات القادمة.

السابع: إلزام التلميذ لكي يكثر من الحفظ عن ظهر قلب لا يحقق الغرض من التعليم ويرى ابن خلدون اتباع الحوار والنقاش والمناظرة كلها وسائل تكسب الدارس القدرة على استيعاب درسه وتجعله قادراً على الاستفادة منه.

الثامن: ألا يلجأ إلى الشدة لأن في ذلك عيب في نشأة الصغار ويجعلهم يستعينون بالكذب والمكر والخدعة ليتلاهم العقاب الذي ينتظرهم.

التاسع: أنه لا يجوز اختصار الكتب الكبيرة والمجلدات في كتب موجزة وملخصات مختصرة لأن ألقاظ الموحزات والمختصرات تصبح غير واضحة للدارس فيصعب فهمها ويقل إدراكها.

ومن أهم المبادئ التربوية التي نادى بها ابن خلدون، أهمية الإعداد التربوي للمعلم وضرورة إلمامه بفن التربية وطرق التدريس، وقدرته على فهم وإدراك نفسية الأطفال واستعدادهم ومواهبهم ومهاراتهم، وأن يكون المدرس قدوة، عدم إرهاق المتعلمين بمعلومات دراسية فوق طاقتهم، وضرورة التهيئة والتشجيع، ضرورة مراعاة التدرج والتكرار كأساسيات للتعليم، ربط التعليم بالأمثلة المحسوسة البسيطة، الاهتمام بالرحلات والنقاش بين المعلم والتلميذ، الإطالة وعدم التقصير في المواد التعليمية لأن الإطالة تعمل على تثبيت المعلومات في ذهن التلاميذ، أهمية التفاهم والود بين المعلم والتلاميذ.

#### الملاحم الفلسفية للتربية الإسلامية :

من الملاحظ أن الإنسان هو المحور الذي تدور حوله التربية الإسلامية ومنهجها، لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعمل على تمكين الإنسان من مواجهة الحياة مواجهة قائمة على المعرفة والتجربة، وبذلك يتمكن الإنسان من أن يأخذ من مادية الحياة ومن الروحانية مع الإرادة الحرة ما يمكنه من الحفاظ على التوازن ليس في ذاته فحسب بل في ممارسته في الحياة، ولذلك فإن التربية الإسلامية اتسمت بالملاحم الفلسفية التالية:

- أن الإنسان يعيش في بيئة اجتماعية إنسانية وهو مسئول عنها بما وهبه الله من عقل إنساني يمكنه من تقييم هذه البيئة وتوجيهها نحو الخير من جهة، كما

يمكنه من إيجاد مجتمع يعنى بمستقبل الإنسان والجنس البشرى وتوجيهه نحو الخير من جهة أخرى.

- أن البيئة الطبيعية للإنسان، أو ما يمكن أن يطلق عليه « الكون » سخره له ليكشف أسرار الحياة والكون بعقله وتفكيره، وإنجازته المادى. فلا قيود على طاقات الإنسان وقدراته فى الإبداع فى الحياة.

- أن السلام والعدل والمحبة فى نظر الإسلام هى قيم إنسانية منسجمة مع رسالة الإيمان بالخالق، كما أنها من متطلبات الحضارة الإنسانية التى تهدف الرسالة الإسلامية إلى توجيهها لتكون تحضيرية للبشر وتعرّبه الأرض.

- أن المجتمع البشرى هو الإطار الذى تعمل فيه الرسالة الإسلامية ومنهج التربية الإسلامية. ولا بد أن تتجه التربية الإسلامية فى المجتمع البشرى نحو القيم الإنسانية العليا من خلال المجتمع الإسلامى لمكانته ودوره القيادى، فمكانته فى المجتمع البشرى تنبثق من مكانة الأمة الإسلامية، أما الدور القيادى للمجتمع فيتمثل فى مهمة إبراز القيم الإسلامية فى واقع الحياة ليكون نموذجاً حياً للحقيقة الإنسان المستخلف فى الأرض.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التربية الإسلامية انفردت ببعض السمات

التي تميزها عن غيرها، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

- ١- أهداف التربية الإسلامية واضحة ومحددة خاصة تلك التى لا تتأثر بتغيير الزمان والمكان، وهى العبودية للخالق والعلاقة بين الخالق والمخلوق.
- ٢- لا تفصل التربية الإسلامية الجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى، حيث لا تفصل بين الدنيا والدين وبين الجانب الجسمى والعقلى والروحي.
- ٣- تركز التربية الإسلامية على الجانب الأخلاقى والفطرة، فتؤكد على التربية الأخلاقية فى علاقتها بالدين، إلى جانب أن الأخلاق فى الإسلام فردية واجتماعية.

- ٤- تركز التربية الإسلامية على التوازن بين المطالب الفردية والمطالب الاجتماعية، وتهتم بالأسرة وتجعلها المحور الأساسى لتكوين المجتمع.
- ٥- تؤكد التربية الإسلامية على أهمية تربية الضمير أو الرقيب على النفس حتى لا تخرج عن قيم الإسلام وجادة الطريق مرتبطة بمهيمن أعلى هو الله، فالسلوك ينبع داخلياً، والتربية الإسلامية توجه سلوك الفرد سواء فى داخل الأسرة أو خارجها، فما هو محمود فى الأسرة محمود فى النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى، فهناك قيم ثابتة كالصدق والوفاء والأمانة والتعاون والتراحم والمحبة لا تتغير بتغير الزمان والمكان فى مفهوم التربية الإسلامية.
- ٦- تكمن سمات التربية الإسلامية فى كونها مستمدة من الشريعة الإسلامية التى هى شريعة إلهية تتضمن سلماً تربوياً فى انسجام مع بقية النظم الأخرى. وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية الإسلامية محددة المعالم والملامح، واضحة الأهداف، لا تقتصر على الفرد فقط أو على المجتمع فقط، بل شاملة لكليهما، تعمل على إحداث التغيير فى المجتمع عن طريق التغيير فى نفوس الأفراد، وقد وضع بعض المربين أن التربية الإسلامية تختلف عن أشكال التربية الأخرى، وتتميز عنها بخصائص مشتقة من خصائص الإسلام نفسه، وقد حددها على النحو التالى:

١- التربية الإسلامية تربية رمانية، فالتربية الإسلامية رمانية من حيث:

أ - البداية.

ب- الهدف والغاية.

ج - أساليبها ومصادرها ووسائلها.

٢- التربية الإسلامية ثابتة الأسس.

٣- التربية الإسلامية موافقة الفطرة.

٤- التربية الإسلامية شاملة لكل جوانب الحياة باعتدال وتوازن وطبقاً

لهذه الخاصية فهى:

- أ - تنمى الطاقات الفكرية.
- ب- تبنى الميل والدوافع الفطرية.
- ج - تشمل جميع الطاقات الانفعالية والعاطفية وتوجهها باعتدال وتوازن.
- د - توازن بين العواطف والانفعالات الدينية ذاتها.
- هـ - توازن بين العقل والعاطفة فتربيهما معاً.
- و - توازن بين الإيمان والعمل.
- ز - توازن بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية.
- ٥- التربية الإسلامية موحدة للطاقات البشرية.
- ٦- التربية الإسلامية تربية عالمية.
- ٧- التربية الإسلامية متفائلة إيجابية فعالة.
- وهكذا يتضح أن الفكر التربوى الإسلامى يتميز بالعديد من الملامح والسمات المختلفة والتي ينفرد بها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، كما أضاف بعض المربين إلى هذه السمات بعض المميزات التى تميز بها الفكر التربوى الإسلامى حددها على النحو التالى:
- ١ - شموله واتساع نظرتة، فقد نظر إلى الإنسان موضوع التربية ككل أو ككيان متكامل له جسد وعقل وشعور وإحساس ولكل من ذلك حاجاته التى يجب أن تشبع، وهذا الكيان المتكامل جزء من كيان أكبر هو المجتمع.
- ٢ - عمقه فقد كان يعتمد على مصادر متعددة يبنى بها نفسه، فلم يحصر نفسه فى إطار واحد من المعرفة وإنما انطلق فى كل حال يبحث عن ذلك الحق، وتلك الحقيقة الذين وهبا لهما نفسه.
- ٣ - أصالته، فقد كان يبحث عن الحق والحقيقة بدافع من الإسلام، وفى ظله وظل أيديولوجيته، حلاً لمشكلاته ومشكلات أبناء المجتمع الإسلامى.

مفهوم التربية من منظور رجال الفكر التربوي الإسلامي :

هناك العديد من التعريفات للتربية عند بعض العلماء المسلمين، من هذه

التعريفات ما يلي:

- يرى ابن سينا أن التربية عادة، ويقصد بالعادة فعل الشئ الواحد مراراً كثيراً وزماناً طويلاً في أوقات متقاربة.
- ويرى الأصفهاني أن التربية هي إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد التمام.
- ويرى البيضاوي أن التربية هي تليخ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً.
- أما عبد الله دراز، فيرى أن التربية هي تعهد الشئ ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به في طريق النضج والكمال، الذي تؤهله له طبيعته، والتربية الإنسانية هي التي تتناول قوى الإنسان.
- ويرى ابن مسكويه، أن التربية عبارة عن تعود، فهي أدب الشريعة والأخذ بوظائفها وشرائعها حتى يتعودها الطفل.
- وفي موضع آخر عرفها بأنها تطبيع الإنسان بالفضائل وتنقيه من الرذائل.
- الملاحظ أن معنى التربية عند رجال الفكر التربوي الإسلامي يتفق إلى حد كبير مع ما يراه علماء وفلاسفة التربية الغربيين، حيث يرى كارل مانهايم أن التربية هي إحدى وسائل تشكيل السلوك الإنساني كي يتلائم مع الأنماط السائدة للتنظيم الاجتماعي.
- أما إميل دور كايم فيرى أن التربية هي العمل الذي يمارسه أجيال الراشدين على أجيال لم يتم نضجها بعد للحياة الاجتماعية.
- ويرى سينسر أن التربية هي الإعداد للحياة العامة.
- ويرى جون ديوى أن التربية هي الحياة وليست الإعداد للحياة، فهي عملية نمو وتعلم وبناء وتجديد مستمرين للخبرة وأنها عملية اجتماعية.

- وتوجد بعض المصطلحات التي استخدمها رجال الفكر التربوي الإسلامي في كتاباتهم للدلالة على معنى التربية والتي يمكن توضيحها على النحو التالي:
- **التنشئة:** ويقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر ولذلك يقال نشأ فلان وترعرع أي تربي.
  - **الإصلاح:** ويعنى التغيير إلى الأفضل وهو ضد الإفساد، ويقصد به العناية بالشئ والقيام عليه، وإصلاح اعوجاجه، والإصلاح يقتضى التعديل والتحسين، ولكن لا يلزم منه النماء والزيادة، فهو إذا يؤدي جزءاً من مدلول التربية.
  - **التأديب والأدب:** ويقصد به التحلى بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق والابتعاد عن القبائح. ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء، وقد أشار بعض المرين إلى ذلك بقوله، عند قدماء العرب كانت كلمة تأديب هي المستعملة والمتداولة أكثر من كلمة تربية، وكان المدلول الأول لكلمة أدب فى تلك البيئة العربية يطلق على الكرم والضيافة، فكان يقال فلان أدب القوم إذا دعاهم إلى طعام، وهكذا كان مدلول كلمة تأديب منصرفاً بالدرجة الأولى إلى الجانب السلوكى من حيث علاقة الإنسان مع غيره.
- وهنا يلاحظ أن كلمة الأدب والتأديب وثيقة الصلة بكلمة تربية حيث يمكن أن تشتق منه تسمية المعارف آداب، وتسمية التعليم تأديباً، وتسمية المعلم أو المربي مؤدباً، وهذا المصطلح شاع استخدامه بين رجال الفكر التربوي الإسلامي مثل ابن سحنون.
- **التهذيب:** ويقصد به تهذيب النفس البشرية وتنقيتها وتسميتها بالتربية على فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال، وجاء فى معجم الوجيز رحل مهذب بمعنى مطهر الأخلاق وهذب الصبى، أى رياه تربية خالصة من الشوائب.

- **التطهير:** ويقصد به نزبه النفس عن الأدناس والدنايا وهي كل قول أو فعل قبيح، وحيث أن للتطهير معنيين أحدهما حسي مادي والآخر معنوي، فإن المقصود به هنا المعنى المعنوي والذي يقصد به تطهير سلوك الإنسان من كل فعل أو قول مشين.

- **التزكية:** وتأتي بمعنى التطهير ولعل المقصود بذلك تنمية وتطهير النفس البشرية بعامة من كل ما لا يليق بها من الصفات السيئة والخصال القبيحة ظاهرة كانت أو باطنة.

إن مصطلح تزكية يُعد أكثر المصطلحات قرباً في معناه لمصطلح التربية الإسلامية خاصة وأنه ورد في بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث يدل على معنى التربية، ولكونه يدل على محاسبة النفس والعناية بها والعمل على الارتقاء بجميع جوانبها الروحية والجسمية والعقلية إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات، وفي هذا الصدد يقول الغزالي، التزكية هي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المنبسطات والهواجس أن تنسف به وتعوج.

- **التعليم:** استخدم هذا المصطلح رجال الفكر التربوي الإسلامي كثيراً، وبالرغم من أن مصطلح التعليم شائع الاستعمال في كتابات علماء الفكر التربوي الإسلامي لكن من الملاحظ أن استخدامه كان مقصور على تنمية الجانب المعرفي المتمثل في طلب العلم.

- **السياسة:** ويقصد بها القيادة وحسن تدبير الأمور في مختلف شؤون الحياة، وتأتي بمعنى القدرة على التعامل أو الترويض، وقد استخدمه بعض رجال الفكر التربوي الإسلامي بمعنى التربية.

- النصح والإرشاد. وهذا المصطلح يعنى بذل النصح للآخرين ودلائلهم على الخير وإرشادهم إليه، وقد استخدم هذا المصطلح الإمام الغزالي.

- الأخلاق: يقصد بهذا المصطلح إصلاح الأخلاق وتقويم ما انحرف من السلوك، وبالرغم من أن هذا المصطلح يهتم في الواقع بجانب من جوانب التربية، إلا أنه قد يستخدم للدلالة على التربية بصفة عامة.

يتضح من ذلك أن المترادفات التي استخدمها علماء المسلمين للدلالة على أن معنى التربية تدور حول معنى تنمية وتنشئة ورعاية النفس البشرية وسياساتها والعمل على إصلاحها وتهذيبها وتزكيتها وتأديبها والحرص على تعليمها ونصحها وإرشادها من أجل تحقيق التكيف المطلوب والتفاعل الإيجابي لجميع جوانبها المختلفة مع ما حولها ومن حولها من كائنات ومكونات.

#### أهداف التربية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي:

الباحث في الأدب التربوي يلاحظ أن هناك اهتماماً واضحاً بالهدف من التربية في الإسلام، وقد وضح ذلك المفكرون المسلمون. فيرى القابسي أن الغرض من التربية هو إعداد الطفل وتنشئته على تعاليم الدين الإسلامي ليكون إنساناً صالحاً في حياته وآخرته.

ومن الملاحظ أن عملية الإعداد هذه تتم بإرسال الأهل إلى الكتاب، ومن هنا جعل القابسي من تعليم القرآن الكريم غرضاً هاماً لتعليم الصبيان، وبالتالي كان القرآن ضرورة لمعرفة الدين والصلاة لا تتم إلا بقراءة شيء من القرآن وهي مفروضة على المسلمين لأنها ركن من أركان الدين، وهو يتفق مع غيره من علماء المسلمين في أن الغرض الأول هو معرفة الدين علماً، وعملاً، أو نظراً وتطبيقاً وممارسة.

ويشير البعض إلى أن القابسي يرى أن الغرض من التعليم يتمثل في:

- معرفة الدين علماً وعملاً ابتغاء مرضاة الله.

- سعادة الوالدين بما حصله ولدهما من أبواب العلم والمعرفة.

- يعلم الصبيان مع القرآن القراءة والكتابة والخط والحساب والآداب.
- تتعلم البنات وحدها.

من هنا يتضح أن العرض من التربية عند «القابسي» هو الدين والدنيا. ويرى «ابن سينا» أن هدف التربية هو نمو الفرد نمواً كاملاً ومن جميع النواحي النمو الجسمي والنمو العقلي والخلقي. ثم إعداد الفرد لكي يعيش في المجتمع ويشارك فيه بعمل أو حرفة يختارها وفق استعداده ومواهبه هو. يتضح من ذلك أن «ابن سينا» يرى أن الهدف من التربية هو النمو المتكامل للطفل وإعداده للحياة لكي يكون مواطناً صالحاً في المجتمع. وتعليمه مهنة بناء على قدراته واستعداداته. وفي هذا إشارة إلى التوجيه المهني في التعليم.

ويرى بعض الباحثين أن أهداف التربية عند الإمام الغزالي تتمثل في:  
أ - التقرب إلى الله دون التطلع إلى مظاهر الدنيا الفانية. ودون المنافسة التي تؤدي إلى الكراهية والبغضاء. وفي ذلك يقول: «إن الغرض بطلب العلوم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة».

ب- طلب العلم عند الغزالي غاية ووسيلة. غاية في ذاته. ووسيلة إلى الدار الآخرة. وذريعة إلى القرب من الله تعالى. فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو أشرف وأفضل الأعمال.

ج - القيم لبناء الإنسان الأخلاقي. وذلك باستخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة في الإنسان وبناء الفضيلة ولزوم الاحترام في الطبايع.

د - التعليم أشرف المهن، فالغزالي يرى أن التعليم أفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة له.

يتضح من ذلك أن الغاية من التربية هي التقرب إلى الله ﷻ والدليل على ذلك طلب العلوم ومحاسن الأخلاق. وفي نفس الوقت لم يرفض الغزالي الهدف

التربوى والتثقيفى من التعليم، فى كلامه عن قيمة دراسة العلوم، يذكر من بين ما يذكر مدى منفعتها للإنسان فى حياته الدنيا، ويمثل لها بعلوم الطب والحساب والصناعات، ومدى منفعتها للإنسان فى تثقيفه واستمتاعه وتدحيحها فى حياته الاجتماعية، ومثل لها بالشعر والتاريخ والسياسة.

ومن الملاحظ أن الهدف الأسمى من التربية عند الغزالى هو تكوين المؤمن الفاضل الذى يستطيع أن يتغلب على بدنه ومعوقاته، وبالتالي يستطيع أن يصل إلى سيطرة الروح على البدن سيطرة تؤدى إلى معرفة هذا العالم.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام الإمام الغزالى بتصنيف العلوم إلى تصنيفات مختلفة، وقسمها أقساماً مختلفة موضحاً أن بعض هذه العلوم هو الذى يؤدى إلى الوصول إلى الحقيقة اليقينية، وأن بعضاً منها يكون مذموماً، ومن هنا لا يجب أن يعلم للمسلم، كما أن هناك علوماً تعتبر فرض عين على المسلم، وأن هناك علوماً تعتبر فرض كفاية إذا قام بها فرد سقطت عن بقية أفراد المجتمع.

أما ابن خلدون فقد جاءت رؤيته لأهداف التربية من منظور معين. وهى أنه إذا كان الإنسان عاجزاً عن أن يعيش دون أن يعتاد عادات المجتمع الذى نشأ فيه وأن يلم بكل الفنون والعلوم أو بعضها، فمن الضرورى إعداد الإنسان منذ الطفولة لمثل هذه الحياة المعقدة، ولذلك فهو يرى أن غاية التربية هى إعداد أفراد يستطيعون سياسة الحياة، وهدف التربية الأسمى أن ينخلر الفرد إلى غيره نظرة إنسانية باعتباره منتبياً إلى الجنس البشرى.

من هنا يمكن القول أنه من الواضح أن ابن خلدون يركز فى أهداف التربية على الجانب الدينوى، ولكن من الملاحظ أنه يرى أن الغرض من التربية تحقيق الهدف الدينوى وهو العمل للأخرة، فالهدف العلمى وهو العمل للدنيا، مسترشداً بقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِمْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

يتضح مما سبق أن أهداف التربية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي لم تهتم بجانب واحد من جوانب الإنسان. وما يؤكد ذلك أن التربية عند ابن سينا لم تغفل الحديث عن النمو الجسمي وكل ما يتصل به من رياضة بدنية وطعام وشراب ونوم ونظافة ولم تستهدف فقط النمو العقلي وجمع المعلومات، وكذلك لم تركز على الجانب الأخلاقي فقط. بل استهدفت وجود الشخصية المتكاملة جسماً وعقلاً وخلقاً، كما أن هدف التربية عند القابسي لا يركز على الناحية النظرية في حياة الفرد المسلم، وإنما اهتم بالجانب التطبيقي عن طريق الممارسة، كما أنها لم تركز على الجانب الديني، كما يتصور البعض، وإنما تهتم بالجانب الديني والدنيوي، كما اتضح من آراء كل من الغزالي وابن خلدون، فالواضح أن أهم أهداف التربية في الفكر الإسلامي هو: الهدف الإنساني التربوي.

ومن الملاحظ أن أهداف التربية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي تتفق إلى حد كبير مع رؤية رجال التربية المعاصرين لأهداف التربية في الإسلام، ويؤكد ذلك ما يراه بعض المربين من أن هدف التربية في الإسلام هو: تنشئة الأطفال والشباب على معرفة الدين وحسن الخلق وعدم الإهمال في إقامة الشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإقامة لروابط الأخوية والعلاقات الطيبة بين الفرد وبقية الأفراد واحترام الناس وأعمالهم.

والملاحظ أيضاً أن هدف التربية هنا ليس تربية الفرد تربية دينية فقط، وإنما أيضاً تربيته تربية دنيوية قائمة على أساس الدين، ويؤكد ذلك ما يراه البعض من أن هدف التربية في الإسلام هو التربية الخلقية بمعنى تنمية أخلاقيات معينة لدى الإنسان أي تنمية عادات سليمة تتفق مع الفكرة الإسلامية من الإنسان ليسير عليها في حياته.

وإذا كانت أهداف التربية في الفكر التربوي الإسلامي تهتم بشخصية الإنسان ككل فإن هذا يتفق مع ما يراه رجال التربية المعاصرين، حيث يرى البعض أن هدف التربية في الإسلام هو أن يصير الإنسان - كل إنسان - عبداً، ذلك هو الهدف الكلي للتعليم والتربية في الإسلام.

ويؤكد ذلك ما يراه البعض من أن هناك أربعة أهداف أو أغراض أساسية للتربية الإسلامية وهي:

- التثقيف العقلي والإعداد الفكري، فالإسلام ينظر إلى الكون نظرة تعقل وتدبر وتأمل ويأمرنا الله تعالى أن نتفكر في خلق السماوات والأرض، وأن نعتمد على عقولنا للوصول إلى الإيمان بالله تعالى، وبهذا كان الإعداد الفكري والاستفادة من المعلومات من أهم ما حض عليه الإسلام.
- تنمية القوى والاستعدادات الطبيعية للطفل، فالإسلام دين الفطرة لأن تعاليمه ليست غريبة عن الطبيعة الإنسانية بل هي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تعقيد فيها ولا خرافة كل شيء فيها منطقي موافق لحاجة البشر محققاً لمصالحهم، وقد اعتبر الإسلام أن مهمة المربي تقوية فطرة المولود أي الاستعدادات الطبيعية وتجنبها الزلل وعدم الانحراف عن برائتها واستقامتها.
- الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيته أيأ كان جنسه ذكراً أو أنثى.
- العمل على توازن جميع القوى والاستعدادات الإنسانية.

#### مؤسسات التربية:

الباحث في الفكر التربوي الإسلامي يلاحظ اهتمام المفكرين الإسلاميين بالأسرة ودورها في تربية الأطفال، فالتربية عند الإمام الغزالي تبدأ بالأسرة حيث أن الطفل أمانة في عنق والديه وعلى يديهما تتشكل شخصيته، فعلى الوالد أن

يؤدب ابنه ويهذبه ويتعهده بالرعاية والتعليم ويعلمه آداب المائدة والسلوك القويم وحسن معاملة الناس وينشئه تنشئة خشنة وغير مدللة.

ومن هنا يتضح أن الإمام الغزالي أدرك أهمية التربية الأولى للطفل في حياته المستقبلية. فعلى قدر نوعية الخبرات والمثيرات التي يمتصها من أسرته بنشأ سليم النفس طاهر العقل أو العكس بالعكس، ومغزى ذلك أن الغزالي يبرز أهمية البيئة الأسرية على تنشئة الطفل إما نحو الخير أو الشر، الفضيلة أو الرذيلة الحق أو الباطل، الجمال أم القبح، العدل أم الظلم.

وفي ذلك يقول الغزالي « أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة من كل نقش وصورة. وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه ».

وتأكيداً لذلك يرى البعض أن الإمام الغزالي وضع بعض التوجيهات لتسترشد بها الأسرة في تربية أطفالها فهو يرشدها إلى: ضرورة صيانة الطفل عن قرناء السوء ورفاق الانحراف، وذلك بحسن توجيهه وإرشاده وتهذيبه وتعليمه الخلق الفاضل وتعويدده الاعتدال في المأكل والملبس ومباهج الحياة، كما حذر الغزالي من تعهد رعاية الطفل إلا لمرأة صالحة متدينة تتمتع بعبادات وأخلاق حسنة، ويرى الكاتب أن هذا سيساعد الطفل على التنشئة الأخلاقية الحسنة الحميدة.

ولم يغفل رجال الفكر التربوي الإسلامي عن العلاقة بين الوالدين أو ما نسميه بالتماسك الأسري وأثر ذلك على تنشئة الطفل، وفي هذا الشأن يشير ابن سينا إلى أهمية الاستقرار العائلي في تربية النشء تربية سليمة، ويتضح ذلك من آراءه. فقد طالب بنثات الصلة بين الزوجين وحذر من خطورة الطلاق لأنه يؤدي إلى تمزيق الأسرة أو على حد قوله إلى تشتيت الشمل الجامع للأولاد ووالديهم، أو إلى تجدد احتياج كل إنسان إلى المزاوجة وفي ذلك أنواع من الضرر كثيرة، كما وضع ابن سينا بعض الشروط التي تحقق العلاقة الزوجية المستقرة فهو يرى أن من

أسباب دوام الصلة بين الزوجين المحبة. والمحبة لا تنفقد إلا بالألفة، والألفة لا تحصل إلا بالعادة، والعادة لا تحصل إلا بطول المخالطة، وطالب أيضاً بعدم التسرع فى طلب الطلاق من أحد الزوجين، كما أنه لا يجب أن يسند إلى المرأة أمر الطلاق، وبكندا يحذر ابن سينا من التسرع أو العجلة أو الطلاق (افتراق الزوجين) ويطلب بضرورة التفكير الطويل، ويحاول إزالة أسباب الفرقة حتى ينشأ الأولاد نشأة سليمة. ومن مؤسسات تربية الطفل أيضاً الكتاب ويرى البعض أن مرحلة الكتاب تعد أول مرحلة فى السلم التعليمى المعروف، وتعتبر هذه المرحلة بداية التعليم المنظم للطفل.

ويرى « القابسى » أن الكتاب كان وما يزال بيئة طيبة صالحة لبناء ديمقراطية التعليم فى أجمل صورها. ويرى « الغزالى » أن الصبى يلحق بالكتاب قبل بلوغ الحلم وقبل التكليف، وهناك يتعلم القرآن والأحاديث والأخبار وحكايات الإبرار لينغرس فى نفسه حب الصالحين، وفى الوقت نفسه يجب أن يمنع من حفظ الأسعار التى يذكر فيها الفسق، كما يحفظ من مخالطة من يزعمون أنهم ظرفاء ويتصفون برقة الطباع لأن هذا يغرس فى قلوب الصبيان بذور الفساد.

يتضح من ذلك أن الغزالى لم يحدد سن معينة من التعليم، وإن كان قد أشار إلى أن هذه السن هى قبل بلوغ الحلم، كما يتضح من ذلك أن هناك دعوة فى التبكير فى التعليم، وإن كان البعض يرى أن سن السابعة التى يحددها الشرع لقيام الطفل بتأدية الصلاة هى مؤشر لتحديد سن التعليم، حيث يفترض أن يكتسب الطفل فى هذه السن مهارات لغوية وعملية وحركية تمكنه من تأدية الصلاة بطريقة صحيحة.

ومن الواضح أن رجال الفكر التربوي الإسلامي يرون أن سن التعليم يتحدد بالسادسة من عمر الطفل، فيقول «ابن سينا» وإذا أتى عليه من سن ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم، وقد حدد الأسباب التي جعلته يرى أن هذه السن مناسبة للتعليم، فقال «عندما تشتد مفاصل الصبي ويستوى لسانه وينتهي للتلقين ويعى سمعه».

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن ما نادى به رجال الفكر التربوي الإسلامي من بداية تحديد سن التعليم للطفل وهو سن السادسة يتفق مع الاتجاهات التربوية المعاصرة حيث أن كثيراً من الأنظمة التربوية الحديثة والمعاصرة تأخذ به.

### بعض جوانب تربية الطفل في ضوء الفكر التربوي الإسلامي: تربية الطفل جسمياً وصحياً:

اهتم رجال الفكر التربوي الإسلامي بتربية الطفل من الناحية الجسمية والصحية، بالإضافة إلى اهتمامهم بجوانب تربيته الأخرى وذلك بعد الولادة مباشرة، إذ يرى «ابن سينا» أنه يجب العناية بصحة الطفل منذ أن يولد فيقول: «فإذا ولد فيجب أن يبدأ أولاً بقطع سرته فوق أربعة أصابع وتربط بالصوف النقى فتلاً لطيفاً كي لا يؤلم، وإنا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة بأن تمس أعضائه بالرفق فتعرض ما يستعرض وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضواً على أحسن شكله، كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع، وتتولى في ذلك معايدات متتالية وتديم مسح عينيه بشئ كالحرير».

فابن سينا يعتبر أبرع من بحث في التربية الجسمية للطفل وربما يرجع هذا إلى كونه طبيباً بارعاً يعرف ما يحفظ صحة الجسم واعتدال المزاج. ويشدد «ابن سينا» على الاستمرار في العناية بصحة الأطفال الجسمية حتى سن الرابعة عشرة من عمرهم، وينصح بأن يتدرجوا في تقليل الرياضة وهجر المذقة منها ما بين سن الصنا إلى سن الترعز ويلزمون المعتدل.

كما يتمثل الاهتمام بالعناية الجسمية والصحية للطفل في العديد من الوسائل التي حددها رجال الفكر التربوي الإسلامي وذلك على النحو التالي:

### ١ - الاستحمام:

فقد اهتم «ابن سينا» باستحمام الطفل ووقته وعدد مرات الاستحمام وكيفية إذ يقول: « يجب أن يكون استحمامه بالماء المعتدل وبالمائل إلى الحرارة الغير لازعة شتاء وأصلح وقت يغسل ويستحم فيه هو بعد نومه الأطول وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين أو ثلاثة أو أن ينتقل بالتدريج إلى ما هو أقرب إلى الفتور إن كان الوقت صيفاً».

ومن هنا يتضح الاهتمام البالغ بالعناية الجسمية للطفل بعد الولادة مباشرة والإرشاد الواضح إلى المحافظة على نظافته، والإكثار من استحمامه في اليوم الواحد مع مراعاة درجة حرارة الماء لجسمه.

### ٢ - الرضاعة الطبيعية:

أولى رجال الفكر التربوي الإسلامي الرضاعة الطبيعية للطفل عناية بالغة الاهتمام، يمكن أن نتخذ نبراساً وهدى في الوقت الحالي، فقد نه ابن سينا إلى أهمية لبن الأم في نمو الطفل، كما حدد لنا عدد مرات الرضاعة، وينصح ابن سينا بأن الأم لا ترضع ولدها عقب الولادة مباشرة حتى يعتدل مراجها من أثر عملية الولادة ذاتها.

ويرجع هذا الاهتمام إلى الحفاظ على صحة الطفل الوليد، والحفاظ عليه من تأثير المؤثرات الخارجية على أمه. أما في حالة عدم استطاعة الأم من إرضاع ولدها أو منعها مانع من الرضاعة، يرى رجال الفكر التربوي أن تختار له مرضعة حفاطاً على صحة الوليد الجسمية، فقد حدد «ابن سينا» بعض الشروط التي يجب توافرها في المرضعة، وتشمل:

- السن والصحة والكمال.
- حسنة اللون.
- قوية العنق والصدر.

- حسنة الأخلاق، بطيئة عن الانفعالات النفسية، رديئة الغضب، وغير ذلك مما يفسد المزاج.
- أن يكون صدرها مكتنزاً عظيماً وأن يكون قوام لبنها معتدلاً.
- أن تمارس الرياضة بصورة معتدلة وتغذى بأغذية جيدة.
- أن يجلب شيء من لبن الأم قبل الإرضاع الأول بصفة خاصة ويسهل، وتستعين الأم على ذلك بالضغط على ثديها بأصابعها لئلا يضطر الطفل إلى شدة المص فيتالم حلقة وآلات المريء وأن يلعق ملعقة من عسل، فهو نافع، ومن المفيد كذلك مزج العسل بقليل من الشراب.
- لا ترضع الأم وليدها لبناً كثيراً دفعة واحدة بل يرضع قليلاً قليلاً، فإن إرضاعه اللبن دفعة واحدة حتى يشبع ربما ولد تمداً أو نفخة وكثرة رباح وبياض بول، فإن عرض ذلك فيجب ألا يرضع ويجوع جوعاً شديداً ويستغل بثومه إلى أن ينهضم ذلك.
- في اليوم الثالث يكون إرضاعه أكثر من اليومين السابقين حيث يرضع ثلاث مرات.
- إذا أصاب الموضع مزاج رديء أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذي فمن المفيد إرضاع الطفل من امرأة أخرى.
- إذا بكى الطفل قبل إرضاعه فهو مفيد له إذا كان بكاءً يسيراً.
- مدة الرضاع سنتان وهي المدة الطبيعية.
- يمكن إعطاء الطفل غير اللبن إذا استساع ذلك وليكن ذلك بصورة تدريجية.
- يغذى بغير اللبن إذا بدأت ثنياه بالظهور بالتدرج ولا يعطى شيئاً صلب المضغ وأول ما يعطى الخبز تمضغه لمرضع ثم خبز بماء وعسل أو بشراب أو بلبن.
- وبعد فتلامه يغذى بما هو من جنس الإحصاء واللحوم الخفيفة وأن يكون الفطام بالتدرج لا دفعة واحدة.
- لا يحوز حملة على القعود أو المشى بالشدة وإنما يترك إلى طبيعته.

- عند بدء زحفه على الأرض يجب أن يكون مقعده على بساط أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض، ويجب إبعاد الأشياء المؤذية عن وجهه ويديه ويبعد عن مواضع التزلق العالية.

يتضح من ذلك أن ابن سينا نبه على بعض المواصفات الخاصة التي يجب توافرها في المرضع والخطوات التي يجب اتباعها في عملية الرضاعة حتى الغطام، وذلك حفاظاً على صحة الطفل الجسمية والنفسية وحتى ينمو سواً سليماً وصحيحاً.

ومن المواصفات التي نادى بتوافرها في المرضع أيضاً، ما يلي:

- السن، فقد حدد ابن سينا سن من تقوم بعملية الرضاعة بأن يكون ما بين خمسة وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة حيث إن هذا سن الشباب والصحة والجمال.

- الهيئة، حدد ابن سينا بعض الشروط والمواصفات الواجب توافرها في هيئة المرضعة فذكر أنه يجب أن تكون حسنة اللون، قوية العنق والصدر، وسعته، عضلانية، صلبة الجسم، متوسطة في السن، والهزال، لحمانية لا شحمانية، وأما هيئة ثديها فإنه يجب أن يكون ثديها مكتنزاً عظيماً وليس مع عظمه بمسترخ، ولا ينبغي أن يكون فاحش العظم ويجب أن يكون معتدلاً في الصلابة واللين.

- صفة اللبن، أما عن صفة اللبن وكيفية التعرف على مدى جودته فذكر ابن سينا أن يكون قوامه معتدلاً ومقداره معتدلاً ولونه البياض، ورائحته طيبة لا لون فيه ولا عفونة، وطعمه إلى الحلاوة ولا مرارة فيه ولا ملوحة ولا حموضة وإلى الكثرة ما هو وأجزاؤه متشابهة فهينته لا يكون رقيقاً سيالاً ولا غليظاً جداً جنيباً ولا مختلف الأجزاء ولا كثير الرغوة فإن اللبن المحسود هو المتعادل الجينية والمائية.

أما ابن القيم فيرى أنه ينبغي أن يكون رضاع المولود من غير أمه بعد وضعه يومين أو ثلاثة وهو الأجود لما في لبنها ذلك الوقت من الغلط والأخلاق بخلاف لبن

من قد استقرت على الرضاع، وهذا عكس ما تراه الأبحاث الطبية المعاصرة حيث أثبتت أن اللبن الذي يتناوله الرضيع في أيامه الأولى إنما يحتوي على الإنزيمات والعصارات ما يصلح الجهاز الهضمي للطفل ويحميه من التلوث.

كما يرى ابن القيم أن تمام الرضاع حولين كاملين وذلك حق للولد إذا احتاج إليه، أن الأبوين إذا أراد فطامه قبل ذلك يكون بتراضيهما وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل فلهما ذلك، إن الأب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة أخرى غير أمه فله ذلك، ويجوز أن تستمر الأم على رضاعه إلى نصف السنة الثالثة.

وبالنسبة لوقت الفطام يرى ابن القيم أن أنسب وقت لفطام الطفل هو وقت الخريف لأن الهواء فيه أبرد، والحرارة العريضة تنشأ فيه وتنمو، والهضم يزداد قوة وكذلك شهوة الطعام.

وبالنسبة للملبس الطفل فابن القيم يحذر من إهمال القمط للرضيع وربطه ولو شق عليه أن يصلب بدنه وتقوى أعضائه ويجلس على الأرض، ويدرب على الحركة والقيام قليلاً إلى أن تصير له ملكة وقوة يفعل ذلك بنفسه.

وبالنسبة لظروف الطفل الصحية فإن ابن القيم ينهى حمل الأطفال في المرحلة المبكرة والتطواف بهم حتى يأتى عليهم ثلاثة أشهر فصاعداً لقرب عهدهم ببطون أمهاتهم وضعف أبدانهم.

ويرى ابن القيم ضرورة مراعاة الظروف النفسية للطفل حتى لا تؤثر على صحته، حيث يحذر من تحميل الطفل من الإعياء ما هو فوق طاقته أو لا يتناسب مع سنه، أو محاولة قمع رغباته بوضع معوقات تحول دون نموه نمواً طبيعياً، فيقول ومما ينبغي أن يحذر حمل الطفل على المشى قبل وقته لما يعرض في أرجلهم بسبب ذلك من الانتقال والاعوجاج بسبب ضعفها.

ويرجع الاهتمام بالرضاعة الطبيعية لما لها من فوائد متعددة، منها:

- فائدة صحية: فائدة للطفل وتتمثل في إشباعه وبناء جسمه وإكسابه مناعة ضد الأمراض المختلفة، وفائدة بالنسبة للأم وتتمثل في أن عملية الرضاعة

تساعد رحم الأم على العودة إلى وضعه الطبيعي، وتقليل الإصابة بسرطان الثدي.

- فائدة اجتماعية: وتتمثل في أن الرضاعة الطبيعية تعد من مظاهر السعادة والاستقرار في الأسرة، كما أنها تمنع الحمل إلى حين الفطام، وبالتالي تعد أحد الوسائل الطبيعية لتنظيم النسل.

- فائدة نفسية: وتتمثل في أن عملية الرضاعة الطبيعية تعمل على تلبية حاجة الطفل إلى الارتباط النفسي مع المرضع، وهذا يعد أحد العوامل الأساسية في الاستقرار النفسي للطفل وأيضاً الأم.

ومن الملاحظ أن المفكرين المسلمين اهتموا بعملية فطام الطفل وطريقته، وذلك حفاظاً على جسم الطفل، فقد حدد بعض المربين المسلمين الشروط الصحيحة للفطام هي:

- يجب أن يكون الفطام تدريجياً وذلك لتجنب مضرة الانتقال بالطفل من العادة والألفة مرة واحدة.

- يجب التدرج في غذاء الطفل الفطيم، بمعنى عدم ملء بطن الطفل من الطعام، كما يجب تجنب الأغذية المضرة بصحة الطفل حتى لا يصاب بالإمساك.

- يجب التعامل مع الطفل بلطف وحنان حتى يمكن مساعدته على تجاوز خبرة الفطام دون متاعب أو آلام.

- يجب تجنب التبكير في الفطام أو إجبار الطفل عليه حتى لا يشعر الطفل بالحرمان من الحنان، وبالتالي ينعكس على شخصيته وسلوكه.

### ٣- اللعب:

اهتم رجال الفكر التربوي الإسلامي باللعب والتربية الرياضية لما لها من أثر واضح على الناحية الجسمية والصحية للطفل، فابن سينا يرى ضرورة اللعب والرياضة من مرحلة الطفولة المبكرة لما لها من فوائد تربوية، فيقول ابن سينا وإذا

انتبه الصبى من نومه ، فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يعلم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى، فالألعاب ضرورية فى حياة الطفل يكتسب عن طريقها المهارات البدنية والحركية المختلفة، فيتعلم كيف يعيش فى جماعة ويستفيد من تلك الحياة.

كما يرى ابن سينا أن اللعب يعمل على علاج الأطفال فى كثير من الأمراض الجسمية والمزاجية، وأن اللعب يأتى فى مقدمة الأمور التى يجب الاهتمام بها من أجل العناية الجسمية والصحية وهى الغذاء والنوم، ثم وضع أنواعه، ولذلك فهو يقول:

أ - الرياضة هى حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها فى وقتها به غناء من كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية، وبين كيف أن ترك الرياضة يؤدى إلى تراكم الفضلات فى الجسم ويؤدى ذلك إلى الأمراض المختلفة.

ب- أنواع الرياضة ويرجعها إلى نوعين أساسيين، هما:

- منها ما هو رياضة يدعو إلى الاشتغال بعمل من الأعمال الإنسانية.  
- منها ما هو رياضة خالصة، وهى التى تقصد بأن تكون رياضة خالصة فقط، وتتحرى منها منافع الرياضة ولها فصول منها ما هو قليل، ومنها ما هو كثير، ومنها ما هو قوى وشديد وسريع ويطئ وحثيث، أى مركب من الشدة والسرعة، ومنها ما هو متراخ. ومن أنواع الرياضة المنازعة والملاكمة وسرعة المشى، والرمى عن القوس، وركوب الخيل.

كما اهتم ابن سينا بموضوع ملازم للرياضة وله درجة من الأهمية وهو ذلك، ويرى أن الغرض منه تكثيف الأبدان المتخالطة وتصليب اللينة، وخلخلة الكثيفة، وتلين الصلبة، ويوضح أن هناك أقساماً لذلك، حيث يرى أن أنواع ذلك هى:

- الدلك الصلب، يشد العضلات، الدلك اللين فيرخى العضلات.
  - الدلك الكثير يؤدي إلى إزالة السمنة.
  - الدلك المعتدل وهو الدلك المخصب كما يسميه.
  - وقسم الدلك بحسب الأداة المستخدمة إلى قسمين، هما:
  - الدلك الخشن، أى بخرقه خشنة فيجذب الدم إلى الطاهر سريعاً.
  - الدلك الأملس، ويكون بالكف أو بخرقة ليثة فيجمع الدم ويحبسه فى العضو.
- وفى موضع آخر قسم ابن سينا الدلك من حيث علاقته بالرياضة، وهذه الأقسام هى:

- دلك الاستعداد وهو قبل الرياضة ويبتدىئ لينا ثم يشدد إذا قرب وقت الرياضة.
  - دلك الاسترداد، ويكون بعد الرياضة ويسمى الدلك المسكن والغرض منه تحليل الفضول المحتبسة فى العضل مما لم يستفرغ بالرياضة لينعش فلا يحدث الإعياء، وهذا الدلك يجب أن يكون رقيقاً معتدلاً وأحسنه ما كان بالدهن.
- ويرى ابن سينا أن الدلك الصلب والخشن إذا أفرط فيه فى الصبيان منعهم من النمو.

ولاشك ما نادى به ابن سينا من أهمية الدلك أخذ به الطب الحديث فى العصر الحالى، حيث يعتمد عليه فى صحة الجسم وعلاج الأمراض.

ويرى ابن مسكويه بالنسبة للتربية الجسمية، أنه يجب العناية بالجسم، وأن العناية به واجبة لما لها من فوائد تعود على الطفل، كما أنه لها آدابها التى ينبغى على الطفل تعلمها.

كما اهتم ابن مسكويه باللعب، حيث ينصح بإتاحة الفرصة للطفل كى يلعب فى بعض الأوقات، غير أن هذا اللعب ينبغى أن يكون لعباً جميلاً ليستريح به من تعب التعليم والآداب على ألا يكون فى هذا اللعب ما يرهق الطفل أو يؤله.

ويرى أن الرياضة البدنية هامة للجسم حيث ينبغى أن يعود الصبى على المشى والحركة والركوب حتى لا يتعود الكسل ذلك لأن أنواع الرياضات المختلفة تطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكى النفس، ويحذر من النوم الكثير حيث أنه يؤدى إلى الكسل وغلط الدهن، كما يهيب خاطر، ومن الضرورى أن يمنع الصبى من نوم النهار. أما الغزالى فقد أولى اللعب اهتماماً خالصاً نظراً لأثره فى تقوية الجسم وفى تنشيط ذهن المتعلم وحيويته، وفى ذلك يقول « ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل»، وفى موضع آخر يقول: « وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب التعلم بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منح الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يهيب قلبه ويحلل ذكاؤه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه».

ويشير البعض إلى أن الغزالى يرى أن اللعب ثلاث وطائف أساسية، فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته وتقويتها، كما أنه يساعد على إدخال السرور فى قلب الصغار، وثالثاً فهو يريح الصبى من تعب الدروس فى الكتاب.

يتضح من ذلك أن المفكرين التربويين الإسلاميين اهتموا بصحة الطفل الجسمية وذلك لإشباع حاجاته من الطعام والعناية بنظافته ونومه ومشيه، كما اهتموا بصحته النفسية، وهذا واضح من حرصهم على اعتدال مزاج الأم قبل الرضاعة، وعلى اشتراط الأخلاق الحسنة فى المرضعة حتى لا ينتقل سوء المزاج وورثى الأخلاق إلى الطفل عن طريق الرضاعة.

### التربية العقلية للطفل :

التربية العقلية هي تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم الدينية والثقافة العلمية والعصرية والتوعية الفكرية والحضارية حتى ينضج فكراً، ويتكون علمياً وثقافياً. فالتربية العقلية تعتبر عملية توعية وتنقيف وتعليم. ولهذا اهتم رجال الفكر التربوي الإسلامي بالعقل وقد عبروا عن اهتمامهم به بالحكمة القائلة «العقل السليم في الجسم السليم»، ومن هنا كان الاهتمام بالجسم وتخفيف الأعباء عنه ليساعد العقل على الدرس والتدريس والتعلم والتطعيم، كما راعى رجال الفكر التربوي الإسلامي الاستعداد العقلي للطفل عند التعلم، كما يرون أن يكون التعليم مناسباً لعقل الطفل، فيرى ابن سينا بأنه إذا تهيأ الطفل للتلقين أخذ في تعليم القرآن وصورت له حروف الهجاء، وينبغي أن يروى الرجز ثم القصيدة، ويبدأ ما قيل من فضيلة الأدب، ومدح العلم، وبر الوالدين، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

يتضح من ذلك أن «ابن سينا» اهتم بالتعليم الحسي كما راعى التدرج في التعليم من البسيط إلى الصعب.

ومن الملاحظ أن ابن سينا اهتم بمراعاة ميول الأطفال في تعليمهم من أجل نبوغهم وتحقيق أفضل ما يمكن تحقيقه لأنفسهم وأمتهم، وقد أشار إلى ذلك فقال إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عنه ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فوجه لطريقة، فإذا أراد مديره به الكتابة أضاف إلى ذلك دراسة اللغة ودراسة الرسائل والخطب ومفاضلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك.

ويستطرد ابن سينا في ذلك مع ضرب الأمثلة فيقول إن الأدب مثلاً سهل على قوم وصعب على آخرين، وإن إنساناً يختار دراسة الحساب، وآخر يختار علم الهندسة، وربما وحدت إنساناً يكره جميع الآداب والصنائع فلم يتعلق بشئ منها

بالرغم من اهتمام أهله وإنفاقهم الأموال الطائلة عليه فى سبيل تعليمه، لذلك ينبغى لمؤدب الصبيان إذا أراد اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبى ويسير قريحته، ويختبر ذكائه فيختار له إحدى الصناعات بحسب ذلك.

أما الإمام «الغزالي» فقد طلب من المعلمين، بأن يكونوا على خبرة تامة بأطوار النمو العقلى للطفل حتى يتمشى مع درجات الاستعداد العقلى لكل طفل. فاللاحظ أن عدم مراعاة استعدادات المتعلمين، والعروق الفردية بينهم من أهم العوامل التى تنفر المتعلمين من تحصيل العلم. لأنهم إذا لم يفهموا ما يتعلمون فإنهم يحسون بالفشل وعدم القدرة على مواصلة التعليم.

ولهذا يلاحظ أن «الغزالي» نصح بعدم قهر الأطفال الصغار على استيعاب مواد تشحن بها ذاكرتهم، ولا يسهمون هم أنفسهم فى محاولة فهمها، نظراً لارتفاع هذه المعلومات عن مستواهم العقلى، مما يؤدي إلى تعطيل سوهم العقلى والخلقى، وهذا ما أشار إليه «الغزالي» عند حديثه عن اتباع طريق التدرج فى التعليم وعدم الإثقال على المبتدئين فى العلم بالتفاصيل غير المجدية فإن ذلك يدهش العقل ويجبر الدهن، ويصرف المتعلم عن الإدراك والإطلاع.

كذلك يلاحظ أنه يوصى بالانتقال من البسيط إلى المركب، حيث يرى «أن العلوم مرتبة ترتيباً طبيعياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج».

وينصح «الغزالي» أيضاً بعدم محاولة شحن الذاكرة بالعلوم، ويفضل أن يكون المرء لنفسه فكرة عامة عن العلوم، وله أن يشتغل بالأهم فليست المسألة كم، بل مسألة كيف.

يتضح من ذلك أن الإمام «الغزالي» أكد على ضرورة التدرج فى تعليم الطفل، وأن يبدأ معه من السهل إلى الصعب، فقد طالب المعلم ألا يخوض فى العلم دفعة

واحدة بل يتدرج فيه مع مراعاة الترتيب، وبتدئ بالأهم، وكذلك ينبغي ألا يخصص فى علم إلا بعد أن يستوفى ما قبله.

كما يلاحظ أن الإمام « الغزالى » أدرك أهمية العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية فى التربية العقلية للطفل، وإن كان يرى أن يقتصد الباحثون فيها حتى لا تصرفهم عن علوم الدين وهى التى يسميها علوم الآخرة. فالعبار إذاً يظل هو النفع الذى يعود على صاحب العلم وعلى غيره من الناس.

أما « ابن خلدون » فقد أدرك أهمية التربية العقلية، ونادى بسمو تدريب العقل على الجسم، واعتبر التعليم النظرى أرقى من تعليم العنون العملية، لأن التعليم النظرى يقوم على العقل.

كما يدعو « ابن خلدون » إلى أهمية النمو العقلى لدى المتعلمين، وأهمية اكتمال النضج لقبول العلم والاستعداد للتعلم. كما يرى أن هذا الاستعداد يمكن أن ينمو إلى درجة تمكن المتعلم من التحصيل العلمى إلى الحد الذى يراه المعلم ضرورياً ومناسباً له، ولتنمية الاستعداد العقلى يرى « ابن خلدون » عدم الخلط بين علمين فى وقت واحد، إذ يستطيع كل متعلم أن يستوعب علماً واحداً أو أكثر. ولكن ذلك يتطلب تنظيم تعريض المتعلم لتلك العلوم، كما يرى تجنب الكتب المختصرة، إذ أن القدرات العقلية للمتعلم تتفاوت فى استيعابها للمعلومات، مما يجعل ضرورة تقديم المادة الدراسية على أكمل وجه ممكناً من قبل المعلم.

كما أكد « ابن خلدون » على أهمية مراعاة قوة عقل المتعلم واستعداده لأن المتعلم إذا حصل ملكه ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى، وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم، وإذا خلا عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطلمس فكره وبئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم.

كما أشار « ابن خلدون » إلى التعليم عن طريق المحسوسات وأهميتها في تنمية العقل، كما أوصى الوالدان بالبعد عن التجريدات، وهو يعطل هذا الرأي بمفهومه للتعليم بأنه تعويد للتلميذ على أن يمارس فيما بعد ما تعلمه بنفسه، فبقدر ما نرسح فيه وسائل التعليم التي تعلمها بقدر ما تتحكم في استعماله لها عندما يكبر، والتجريد عنده لا يحقق هذا التعود بل يحققه التعليم الحسي أكثر لأن الملكة التي نريد أن نكونها في المتعلم لها عند « ابن خلدون » دعامتان: دعامة حسية جسمية، وأخرى فكرية معنوية، ولذلك يكون نقل العلامات إلى التلميذ بالمباشرة، أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل ونكرهه مرة بعد مرة حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والمعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسح من الملكة الحاصلة عن الخير، وعلى قدر وجودة التعليم وملكة العلم يكون حدق المتعلم وحصول ملكته.

### التربية الخلقية للطفل :

التربية الخلقية هي مجموعة المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعلقه إلى أن يصبح مكلفاً شاباً، فالتربية الخلقية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة والبيئة الاجتماعية السليمة.

ولهذا أولى الفكر التربوي الإسلامي تربية الطفل من الناحية الخلقية اهتماماً بالغاً، ويتضح ذلك من خلال آراء المفكرين التربويين الإسلاميين. فابن سينا عرف الخلق بأنه ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم وروية.

ومعنى هذا أن يكون صدور هذه الأفعال عنها عادة رسخت في النفس حتى كأنها طليعية لها، والخلق يصدق على الخلق الحسن إذا كانت الأفعال الصادرة من النفس حسنة، وعلى الخلق القبيح إن كانت العكس

ويتضح من ذلك أن ابن سينا يعتبر الأفعال الخلقية معبرة عن الشخصية الإنسانية، بل وجزء أساسي من مكونات الشخصية، ولذا كان اهتمامه بالتربية الخلقية للطفل بعد ولادته مباشرة حيث اشترط بعض الشروط الواجب توافرها في أخلاق من تقوم بإرضاع الطفل بأن تكون حسنة الأخلاق محمودتها، بطيئة من الانفعالات النفسانية الرديئة، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك، فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أهدى بالرضاع، ولهذا نهى الرسول ﷺ على استئثار المجنونة، على أن سوء خلقها أيضاً مما يسلك بها سوء العناية بقعهد الصبي وإقلال مداراته.

كما اهتم بتربية الطفل الخلقية بعد الفطام، حيث يرى «ابن سينا» أنه إذا فطم الصبي عن الرضاع، بدأ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبي تتبارى إليه مساوئ الأخلاق تنثال عليه الغرائب الخبيثة فما تمكن منه ذلك عليه تعود فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً. فابن سينا يهتم في هذه الفترة بالحفاظ على أخلاق الطفل وتوفير البيئة الصالحة، والابتعاد به عن القوي والظروف التي تؤثر تأثيراً سيئاً على أخلاقه وإفساد نفسيته، ويؤكد ذلك ابن سينا في اهتمامه بالتربية الخلقية للطفل في مرحلة الطفولة، حيث يرى أن التربية الخلقية في هذه الفترة (3-5 سنوات) لا تحدث في تلك المرحلة عن طريق التلقين، وإنما تحدث بخلق الظروف المناسبة التي تجعل الطفل بعيداً عن الانفعالات النفسية الضارة التي قد تؤثر في مزاجه وفي أخلاقه، وبالتالي تتحول إلى عادة أصيلة أو خلق أصيل للطفل.

ويتضح من ذلك أن «ابن سينا» أشار إلى بعض الطرق والأساليب التي تساهم في التربية الخلقية للطفل، وقد حددها بطريقتين:

- الاهتمام بالوسائل الدافعة المتمثلة في القدوة الحسنة والبيئة الصالحة والتشجيع والترغيب والملاينة.

- الوسائل المانعة والاعتباط بالغير والعقاب.

ويتضح من ذلك من رؤية « ابن سينا » بأن التربية الدينية كفيلة بتحقيق النمو الخلقى للطفل، ومن ثم وحب على المربين أن يهتموا بتكوين العادات الصالحة في التلاميذ. كما يؤكد أهمية القدوة الحسنة في بيئة الطفل والمحيطين به وخاصة رفاقه وأقرانه في الدراسة، ويرى أن اجتماع الأطفال في الدراسة يثير حماسهم وينمي فيهم الرغبة في المباراة والمنافسة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهم مهم.

كما يرى « ابن سينا » أن هناك بعض السبل التي تساهم في تربية الطفل خلقياً ونلك مثل الترهيب والترغيب والإيناس والإيحاش أو بالإعراض أو الإقبال وبالحمد مرة، وبالتوبيخ مرة، فإن لم تكن في هذه الأساليب الكفاية فقد يلجأ إلى الضرب في تأديب الصبي إذا دعت الحاجة إلى الاستعانة باليد، ولكن ينبغي الحذر الشديد في استخدام هذه الوسيلة التي يقرها كأحد الوسائل التربوية.

كما اعتبر « ابن سينا » دراسة الشعور وما يحمله من فضائل أحد الوسائل التي تساهم في تربية الطفل خلقياً، حيث يرى أنه يراعى في تعليم الصبي أن يبدأ من الشعور بما قيل من فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف وما حث عليه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ويرى ابن القيم أن التربية الخلقية تقع مسئوليتها على الآباء، فهو يرى أن فساد أخلاق الأطفال إنما هو مسئولية الآباء، حيث يقول وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء، وما أفسد الأبناء مثل تفريط الآباء وإهمالهم.

ويرى ابن القيم أن هناك مجموعة من الأمور ينبغي مراعاتها عند تربية الأطفال خلقياً، وهي يجب أن يتجنب الطفل إذا عقل مجالس اللهو والباطل

والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر تليبه مفارقتة في الكبر وعز على وليه استنفاده منه لأن تغيير العادات من أصعب الأمور، أن يتربى الطفل على العطاء حيث يقول وينبغي لولي الصبي أن يجنبه الأخذ من غيره دون البذل، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعه، ونشأ بأن يأخذ لا أن يعطى فيجب أن يعوده البذل والإعطاء، وأن يتربى الطفل على الصدق والأمانة والجد والاجتهاد والمثابرة، لذلك يقول ابن القيم يجب على الولي أن يجنب الطفل الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم النافع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة، وحرمه من كل خير، كما ينبغي أن يجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة بل يأخذ بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه ويدنه للشغل حيث إن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة وذم، وللجد والتعب عواقب حميدة.

أما « القاسي » فقد اهتم بتربية الطفل خلقياً، ويتفق مع « ابن سينا » في أن التربية الدينية تحقق الأخلاق، كما أن الأخلاق تكتسب عن طريق توجيه الأطفال والقدوة.

حيث يعتبر « القاسي » الدين أصل الأخلاق، فالدين أساس التربية الخلقية في الإسلام، لذلك يجب أن يعمل التعليم على تهذيب الأخلاق، وأساس الأخلاق عنده الضمير الخلقى الحي المستمد من الدين، ويكون اكتساب الأخلاق عن طريق التعليم والقدوة، ولذلك كانت سيرة الرسول ﷺ ذات فائدة تعليمية خلقية عظيمة، كما يوصي المعلم بتوجيه الصبيان إلى العادات الحسنة وإبعادهم عن العادات الرذيلة، وأول الصفات الطيبة التي يتحلى بها الصبيان في نظره الطاعة.

أما « ابن مسكويه » فيرى بالنسبة للتربية الخلقية أن هناك مجموعة من الآداب يجب أن ينشأ عليها الصبي كنوع من الفضائل الشخصية والتي تتعلق

معاملاته مع غيره كعدم الحلف سواء كان صادقاً أم كاذباً لأن ذلك قبيح بالرجال رغم الحاجة إليه في بعض الأوقات، والصبي ينبغي أن يتعود إلى جانب عدم الحلف قلة الكلام فلا يتكلم إلا للإجابة عن سؤال، كما يعود الاستماع إلى من هو أكبر منه، والصمت له، كما يجب منعه من خبيث الكلام ومن السب واللعن ولغو القول. ولهذا يفضل تشجيعه على حسن الكلام.

كما يرى أنه من الضروري أن يعود الصبي على طاعة والديه ومعلميه ومؤيديه، وأن ينظر إليهم بعين التعظيم والمهابة، وأن يتعود على خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه.

فابن مسكويه يرى أن عملية التربية الأخلاقية تبدأ بتلقين الطفل القيم الأخلاقية التي تتضمنها الشريعة حتى يكتسب الفضائل الخلقية بالتقاليد أولاً ثم بالمحاكاة والمتابعة لما يستمع إليه في دروس الدين من دعوات إلى مكارم الأخلاق. أما معرفة أسس الأخلاق وفهم أصولها فيرى ابن مسكويه أن ذلك يتم في مرحلة تالية حيث يشترط أن يتوفر قدرًا من النضج العقلي لا يتوافر للطفل في مستهل حياته، لذلك يرى أنه ينبغي الانتظار حتى يصل الطفل إلى درجة النضوج حيث يصير لديهم الاستعداد لفهم الأسس العقلية التي يقوم عليها السلوك الأخلاقي.

أما بالنسبة لمصدر التربية الخلقية للطفل، يرى ابن مسكويه أن التربية

الخلقية تستمد من مصدرين، هما:

- الدين أو التربية الدينية، إذ ينبغي أن ينبه الطفل على الفضائل ولاسيما ما يحصل له منها بالدين وبلطروم سنته.
- علم تدير المنزل، وهذا لا يتعارض مع التعاليم الدينية، فهذا العلم يدعوا إلى مراعاة مجموعة من الآداب لا تخص طبقة في المجتمع دون سواها، بل هي عامة تشمل أطفال الفقراء والأغنياء على السواء بغير تفرقة.

من هنا يتصح أن ابن مسكويه اهتم بالتربية الخلقية، واعتبر حياة الطفل الطريق الوحيد للسير في طريق الكمال والعقل وفي هذا دليل على أن هذه النفس مستعدة للتأديب سالحة للعناية، ولا يجب أن تهمل أو تترك، ويرى ابن مسكويه أن دور التربية هنا هو أن تنتقل بالتأديب والمواعظ إلى الفضائل، حيث إن النفس تنتقل إلى الخير بالتدريب الصالح.

« فابن مسكويه » يؤكد على أهمية تربية الطفل أخلاقياً، وقد طالب بضرورة وضع المناهج المتنوعة له، لأن المناهج تلعب دوراً كبيراً في التأثير على شخصية المتعلم، وفي هذا الصدد يقول فمن أنفق له في الصبا أن يربي على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائعها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود هدف العدل وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها ثم تتدرج حتى يبلغ إلى أقصى مرتبة.

أما « ابن تيمية » يرى ضرورة مراعاة العناصر التالية في التربية الخلقية

للطفل، وهي:

- الملاحظة الدقيقة للطفل من قبل الأسرة، وتقديم العون والإرشاد النفسى الدائمين، وكذلك التعزيز في سبيل حل المشكلات الأخلاقية التي تواجهه داخل الأسرة وخارجها.
- تأصيل القيم الأخلاقية الإسلامية بحيث تستغرق كل أبعاد شخصيته مثل قيم توحيد الله وعبادته، والقيم المرتبطة برعاية الجسم، وإشباع حاجاته، والقيم المتعلقة بالعمران وعدم التخريب، والقيم المتعلقة بالتفكير، والكرم والحلم والأمانة والمحبة والأمل والأخوة، والمعاملة الطيبة والمسئولية الاجتماعية.

- غرس القيم الإسلامية الصحيحة فى الطفل بواسطة الإرشاد اللفظى وتعليمه أن تكون حياة الرسول ﷺ والصحابة المثل الأعلى، وأن يرفض كل ما دخل على الإسلام من شوائب فكرية.
- أن يكون التعليم الخلقى منسجماً مع خبرات الطفل وسلوكه ودوافعه البيولوجية لا معاكساً لها، وأن يكون تعديل هذه الدوافع بما ينسجم مع السلوك الاجتماعى الصحيح ووضع الغرائز العدوانية لدى الطفل فى قنواتها الخيرة للسلوك الطيب.
- يعتقد ابن تيمية أن الحفل يولد صفحة بيضاء، وعلى قدر المثبرات الخلقية التى يتلقاها من البيئة التى يعيش فيها على قدر اكتسابه لقيم أخلاقية أو اتجاهه نحو الشر وهذا ما يتعلق بالأسرة.
- استخدام الثواب والعقاب، مع التأكيد على أن الثواب (التعزيز الإيجابى) أفضل من العقاب، وأحياناً يؤدى إلى تثبيت السلوك أكثر منه إلى تعديله.
- القدوة الحسنة من قبل الأبوين والمربي مهمة جداً فى مجال التربية الأخلاقية للطفل.
- يتضح من ذلك أن ابن تيمية أكد على دور الأسرة وخطورته فى تربية الطفل أخلاقياً، وأن الأسرة هى الأساس وضرورة أن يكون الوالدين قدوة طيبة لأطفالهما، التأكيد على تاصيل القيم الإسلامية فى نفسية الأطفال عن طريق الإرشاد اللفظى مع مراعاة خبراتهم وقدراتهم عند تعليمهم الأخلاق، وتفضيل أسلوب الثواب معهم.
- ويرى ابن الجزار أنه يجب أخذ الصبيان بالأدب منذ الصغر، لأن العادة طليعة ثانية حيث يقول أن يؤخذ الصبيان بالأدب منذ الصغر لأنهم أسلس قيادة وأحسن مواتاه وقبولاً، ومن الملاحظ أن ابن الجزار يأخذ فى تربية الأطفال بمبدأ الطبع من التلعب أى أن طبايع الأطفال إما تكون بتطبعهم وتربيتهم، وهذا يعد من المبادئ التربوية الإسلامية.

أما الإمام «الغزالي» فقد اهتم بالتربية الخلقية للطفل واعتبرها على درجة كبيرة من الأهمية، فهي التي تكسبه الصفات الجميلة وتغرس في نفسه صفات الشجاعة والصبر والتواضع واحترام الكبير والرفقة بالصغير وحسن الاستماع وطاعة الوالدين والمعلمين وغير ذلك من الأنماط السلوكية الحميدة.

ومن هذا المنطلق يلاحظ أن «الإمام الغزالي» اهتم بتربية الطفل أخلاقياً منذ مولده، لذا يوصى بأن «لا يستعمل في حضانتها وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال».

ويتضح من ذلك أن «الإمام الغزالي» اشترط الصلاح فيمن تقوم برضاعة الطفل لأن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، وإذا نشأ الصبي عليه اتعجنت طبيئته مع الخبث مما يدعو إلى الخوف عليه من أن يميل طبيعه إلى الخبث.

ومن أجل حماية أخلاق الطفل من العادات القبيحة والأخلاق الذميمة وتوفير النشأة التي تضمن له السعادة في الدنيا وتحميه من نار الآخرة فإن «الغزالي» يرى أنه يلزم الصبي:

- حسن المراقبة، وهذه من أول أيامه مع المرضعة، وتستمر المراقبة حتى ظهور أوائل الحياء، ولهذا يقول «الغزالي» فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه.

وهذا يعنى عند «الإمام الغزالي» أن الصبي بدأ يميز بعض الأشياء ومخالفتها لبعضها البعض وتغيرها، وهذا ما يدل على صفاء القلب والاعتدال في الأخلاق، فينصح الأهل عند ظهور هذه الحالة باستغلالها أي الاستعانة بها على تأديبه بحيائه وتمييزه.

- الاستفادة من الصفات الطبيعية التي تظهر عليه وتأديبه بواسطتها.

يشير «الإمام الغزالي» إلى ظهور بعض الصفات منذ البداية على الصبي وعلى رأسها مباشرة الطعام، وهذه الصفة يتمنى «الغزالي» على المؤدب أن يوجهها

الوجهة الطبيعية وذلك بأن آداب الطعام والسلوك السليم والاعتدال والتنظيم ويكون ذلك قولاً وفعلاً، فعلاً بالممارسة والتعود، وقولاً في تقبيح كثرة الأكل عنده بأن يشده كل من يكثر الأكل كالدهانم وذم من يكثر الأكل ومدح الصبي المتأدب القليل الأكل.

كما يرى الإمام «الغزالي» أن الأسرة تلعب دوراً واضحاً في التربية الخلقية للطفل باعتبارها البيئة الأولى التي ينشأ فيها الطفل، لذلك ينصح «الغزالي» الوالد أن يؤدب ابنه وينشئه على ممارسه الأخلاق وأن يحفظه من قبناء السوء، وأوصى الأب بالأحسان في أسباب الرفاهية حتى لا يتعود نعيم العيش فيصعب تقويمه بعد ذلك، وعليه أن يعود على اللباس المحتشم الوقور، وأن يمنعه من النوم نهاراً، وتعويد الحركة والرياضة، وأن يمنعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه هو أو والده، وتعويد التواضع وطيب الحديث وتعويد العطاء لا الأخذ، حتى ولو كان فقيراً وأن ينهيه عن القسم صادقاً أو كاذباً، وأن ينهيه عن الأعمال الغير مستحسنة كالصق والتثاؤب، وأن يعود على الإقلال من الكلام لا حاجة، ويقدر ما تتطلبه هذه الحاجة، وأن يخوفه من السرقة، وأكل الحرام وغيرها من الأخلاق الذمومة وأن يعود على الصبر.

كما يرى أن يكون الأب ممثلاً للرقابة الخلفية عند الطفل فيحفظ هيئة الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب فتزجره عن القبائح، وينبغي أن يعود الطفل الخشونة في الفرش والملبس والمطعم، وأن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه يخفيه وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعود ترك الخفية تجذب فعل القبيح، ويعود الصبي في بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعود ألا يكشف أطرافه ولا يسرع في المشى ولا يرخى يديه، ويجب أن يعود آداب

المجالسة والاستماع والكلام، وأن يمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعب والسب، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك.

لقد وضع « الإمام الغزالى » منهجاً تربوياً لتربية الطفل أخلاقياً يتكون من مجموعة من الخطوات تبدأ بالواجبات الأخلاقية التى ينبغى الالتزام بها من حيث الأوامر والنواهي، وهى بالتالى ما ينبغى أن تتوجه التنشئة إلى تكريسه فى حياة الطفل، ثم العوامل الضرورية والمساعدة بالعملية التربوية بصورتها المثلى ثم خطوات العمل التربوى، وهى:

#### ١- الواجبات الأخلاقية:

من الضرورى عند تربية الأطفال مراعاة توجيههم إلى تقصى القيم الأخلاقية الإيجابية أو الفضائل، وأيضاً توجيههم إلى النفور من القيم الأخلاقية السلبية على اختلاف أنواعها، ولهذا يجب على المربي (المعلم) أن يحذر الأطفال من الجشع والطمع والكذب والنفاق واللعن والسب والسرقة والفحش والخيانة، وأن يقوم المعلم بتحبيبهم إلى الصدق والأمانة والإخلاص والتواضع والوفاء والتأدب فى معاملة الآخرين وغيرها من الفضائل المحببة للنفس.

#### ٢- نقاء النفس:

يرى الإمام الغزالى إن النفس البشرية صفحة بيضاء نقية قابلة لكل نقش وكل صورة تعرض عليها، ولهذا فإنه يصف القلب الطاهر للطفل بأنه جوهرة نفيسة سانجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، أى أن الإنسان يخلق قابلاً للخير والشر، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد فى الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل شقى وهلك. الأمر الذى يترتب عليه إعطاء التربية أهم دور فى تكوين الإنسان وبناء شخصيته وتحديد معالمها وأبعادها.

من هنا نجد أن الإمام الغزالى نادى كثيراً بضرورة العناية بالأطفال وحسن توجيههم لما أدركه من أهمية التربية ودورها الحاسم فى بقاء شخصية الطفل،

والملاحظ أن فكرة نقاء النفس التي نادى بها الإمام «الغزالي» هي الفكرة المحورية التي بنت عليها المدرسة التجريبية الإنجليزية بنيانها الفلسفي. وبهذا المعنى ذاته يقول «جون لوك» (١٦٣٢-١٧٠٤م إن النفس في الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شيء، وإن التجربة هي التي تنشئ فيها المعاني والمبادئ جميعاً، ويبدو التشابه بينهما واضحاً جلياً.

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية تلعب دوراً هاماً في بناء شخصية الطفل وصقلها، وبالرغم من أن التربية مهمة وضرورية ومعقدة، لكن يلاحظ أنها يمكن أن تكون سهلة يسيرة، إذا كانت تسير في الطريق الصحيح حيث إن المربي لا يجد صعوبة بالغة في توصيل الصواب إلى النفس لأنها تميل إليه بجلايعتها.

٣- ضرورة المعلم:

إنه في هذا الشأن يقول الإمام الغزالي اعلم أنه ينبغي للسائل شيخ مربٍ ليجرّج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويحمل مكانها خلقاً حسناً، وهذا يعني أنه من الضروري أن يكون للطفل معلماً ومربياً يحسن زرع الفضائل في نفسه، ونزع الرذائل منها، وهذا يتطلب من معلم الأطفال أن يكون على درجة من الوعي والمعرفة التي تؤهله للقيام بهذا الدور التربوي على أكمل وجه، وأن يكون المعلم متخصصاً وأن تكون لديه القدرة على كيفية غرس الفضائل الحسنة والحميدة في نفوس الأطفال، وأن يكون في نفس الوقت قدوة طيبة للأطفال يقتدون به في أفعالهم وسلوكياتهم.

٤- توظيف العلم:

يرى الإمام الغزالي إن العلم لا يطلب لذاته، وإنما له وظيفة ودور في حياة الإنسان وهذا الدور يتمثل في تحسين وتجويد العمل، وإفادة الإنسان في مختلف مراحل وظروف حياته، من هنا كان من الضروري تدريب وتعليم الأطفال كيفية توظيف ما يتعلموه في حياتهم اليومية من الفضائل حتى ترسخ في النفس، وحتى تكون جزءاً من سلوكياتهم اليومية.

٥- دور القصص:

يرى الإمام الغزالي أن للقصص دوراً هاماً في عرس الفضائل في قلوب الأطفال، وفي دفعهم إلى التخلق بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة عن طريق العديد من الوسائل والأساليب.

لذلك ينبغي توجيه الطفل إلى تعليم القرآن الكريم، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم ليتمرس في نفسه حب الصالحين، ويقتدى بهم، ويتخلق بأخلاقهم، وعلى الطفل أن يبتعد عن أخيار الفسق والمجون، وكل ما يثير الانفعالات العاطفية.

#### ٦- القدوة الحسنة:

يرى الإمام الغزالي أنه ينبغي على المربي أن يكون قدوة لمن يقوم بتربيتهم من الأطفال وأن يوافق قوله عمله، وهذا يتطلب من المعلم أن يبدأ بصلاح نفسه أولاً قبل إصلاح الأطفال وتربيتهم.

#### ٧- الحفظ من قرناء السوء:

يرى الإمام الغزالي أنه ينبغي حفظ الصبيان من قرناء السوء والابتعاد عنهم، وفي هذا الصدد يقول ويمتنع الصبي من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعب والسب، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك، فإن ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء وخاصة لأن رفاق السوء في الأغلب الأعم يفسدون من يرافقهم وخاصة في سنى الطفولة، وهذا يتطلب من أولياء الأمور ومعلمي الأطفال توجيههم إلى تكوين صداقات مع الأطفال الصالحين، ومتابعتهم ومعرفة من يصادقون ومعرفة سلوكياتهم ومراقبتها.

#### ٨- ضرورة المراقبة:

من أجل أن تسير التنشئة الأخلاقية في مسارها الصحيح، ينبغي أن يقوم المعلم بمراقبة الطفل ومتابعة سلوكه وتصرفاته وأفعاله حتى مع استمراره في سلوك الطريق الصحيح وممارسة الفعل الأخلاقي السليم.

وهذا يعني أن الحافل مع صفاء نفسه ونقاء قريحته يظل عرضه لمرضه للتغير والتقلب في أخلاقه تبعاً للبيئة المحيطة به والتي يعيش فيها، حتى ترسح القيم

الأخلاقية في نفسه وتصبح جزءاً من جيلته، وهذا مالا يتأتى إلا باستمرار الاتصال مع هذه الفضائل أو القيم الأخلاقية الإيجابية.

4- التدعيم:

وهذا يعنى أنه يجب أن نكافأ الأطفال عندما يمارسون أفعال أخلاقية حسنة، هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي على المعلمين أن يرغبونهم في القيام بالأعمال الأخلاقية الطيبة والصالحة. كما ينبغي عليهم معرفة متى يتغاضون عن الخطأ ولا سيما إن كان غير مقصود أو أن إدراك الطفل خطأ فراح يداريه.

وفى هذا يقول الإمام الغزالي ثم مهما ظهر من الصبى من خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرحه، ويمدح بين أظهر الناس. فإن خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يزيده خسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، ومن الملاحظ أن علماء النفس والتربية استفادوا من ظاهرة التدعيم أو التعزيز فى تفسير بعض الظواهر النفسية ولا سيما التعلم، ومن هؤلاء بافلوف وثورنديك، كلارك هل، والتى ترى فى مجملها أن التعلم على عمومه مرتبط بالتدعيم بنوعيه الأولى والثانوى والذى يفسر أغلب حالات التعليم عند الإنسان هو التدعيم الثانوى الذى يتلخص فى خفض حدة التوتر الناشئ عن دوافع ثانوية كالحاجة إلى التقدير والتشجيع بالألفاظ والمكافآت المادية.

10- التقويم:

قدم الغزالي منهجاً رائعاً لتلافي الأخطاء والغلط والانحراف وعلاجها، وقد أخذت بهذا المنهج الأساليب التربوية الحديثة واعتبرته الأنسب فى معالجة أخطاء الأطفال، ولهذا المنهج مراحل ثلاث تتناسب مع التماهى فى الغلط بحيث لا تعالج الأخطاء كلها بأسلوب واحد، وهذه المراحل هى:

أ - المعاتبة: تعتبر المعاتبة من أولى المراحل التي تقوم بها أخطاء الأطفال عند بدء تكماره الوجود في ممارسة أفعال أخلاقية فاسدة.

ب- التوبيخ والزجر: يتبع معلم الأطفال هذا الأسلوب، لأن كثرة المعاتبة هون عليه سماع الملامة. فينبغي عليه ألا يكثر القول عليه بالعقاب حتى لا يهون عليه ركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه فإذا تبادى في ذلك فعلى المربي أن يكون حذراً في التعامل معه، وليكن حافظاً هيئته عند الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً.

ج - اجتناب الضرب: ينبغي على المربي أن يسعى إلى اجتناب الضرب قدر المستطاع، فإذا لم يكن من ذلك فليحمل معظم تأديبه بالرهبة ولا يكثر من الضرب والتعذيب، ولهذا يمكن القول أن هاتين الخطوتين من المنهج التربوي الذي وضعه الغزالي وهما التدعيم والتقييم عمل من الأعمال التي تضاف إلى آرائه الكثيرة والجليلة، بل يمكن القول أن منهجه التربوي بكلية يحمل قيم جليلة لها أثرها في الفكر التربوي الحديث والمعاصر.

#### ١١- ضرورة الترفيه:

ينبغي أن يضع المربيون في اعتبارهم أن النفس بحاجة إلى بعض الراحة والترفيه بين الحين والحين. حيث إن استمرارية الجد ومواصلة التعب والجهد في التلقين والتعليم سوف تؤدي حتماً إلى النفور والهروب من ذلك، وربما تورت عللاً أخرى، وفي هذا الصدد يقول الغزالي وينبغي أن يؤذن له بالانصراف من (الكتاب) المدرسة أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب (الكتاب) المدرسة بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يهيت قلبه ويحلل دكانه، وينغص عليه عيشه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً.

ومن هنا يتضح أن الإمام « الغزالي » يؤكد على توفير البيئة الصالحة للطفل من أجل تربيته تربية أخلاقية سليمة، وأيضاً تعويد العادات الصالحة حتى يمكن

تأصيلها في الطفل حتى يشب وتنمو معه العادات الطيبة، ولم يكتف بذلك، وإنما أشار إلى أهمية الثواب والعقاب في التربية الخلقية، وذلك بتشجيع الأفعال الحمودة التي تصدر عن الصبي بالتكريم ومجازاته بما يفرح به الصبي، ويمدح بين الناس، وذلك لتدعيم وتثبيت تلك الأفعال لتصبح عادة وسلوكاً.

ومن الملاحظ أن العلماء المسلمين وضحو أن التربية الخلقية تمر بمرحلتين

رئيسيتين هما:

- الأولى: تسمى مرحلة التخلية وهي تعنى تخلية طبع الطفل من كل رذيلة وإبعاده عن كل مؤثرات الشر والسوء، وعدم مخالطته لقرناء السوء.
- الثانية: مرحلة التحلية والتزكية، وتعنى تخلية الطفل بالفضائل الكريمة والأخلاق الحمودة عن طريق تشربه لهذه الأخلاق واكتسابه العادات الحسنة من مخالطته للقدوة الصالحة.

ويتضح من ذلك أن المفكرين المسلمين أحسوا بأهمية المرحلة الأولى من الطفولة في التربية الخلقية، وتعويد الأطفال العادات الخلقية الحسنة من الصغر، واتفقوا على ضرورة العناية بتربية الأطفال تربية كاملة في أول مرحلة من حياتهم، حيث إن الطفل يأخذ الطابع الذي يلازمه طوال حياته في السنوات الأولى من الطفولة، وهذا ما نادى به التربية الحديثة.

المربي (المعلم) :

اهتم الفكر التربوي الإسلامي بأمر المعلم الصالح، ولهذا ركز رجال الفكر التربوي الإسلامي على الصفات الحميدة التي تنشأ بين المعلم والمتعلم، إذا كان المتعلم يصاحب العلم ويصلى معه ويأخذ عنه العلم والأدب وحسن الأخلاق، واشتروا مصاحبتة وأخذ العلم عنه، فالعلم ثمرة اتصال المتعلم بالمعلم.

وانطلاقاً من ذلك يرى « القابسي » أن المعلم أقرب الناس بعد الوالدين إلى الطفل وأن الطفل بطبيعته ميال للمحاكاة يتأثر بمن يخالطهم وينقل عنهم سلوكهم

وتصرفاتهم، ومن هنا جاءت أهمية دوره فى التأثير فى تكوين شخصية الطفل، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون قدوة لتلاميذه فى مظهره وحديثه فى عاداته وسلوكه.

وانطلاقاً من ذلك وضع «القابسى» بعض المواصفات لمن يقوم بتعليم الأطفال:

- أن يكون بهم رحيماً ورفيقاً.
- أن يكون معهم عادلاً، وعدم الاعتناء بأحدهم أكثر من الآخر.
- النظر فى صلاحهم وأدبهم، وهذا يعنى أن على المعلم أن يضع طلابه قيد المراقبة من الناحية السلوكية والأخلاقية، حتى إذا رأى اعوجاجاً أو سوء خلق من أحدهم يقومه أو يعزله عن البيئة فى الوقت المناسب.
- متابعة الأطفال فى دروسهم، يضع « القابسى » برنامج عمل من أجل تفقد الأطفال فى دراستهم قراءة وكتابة مثيراً فيهم الحماس والمناقشة محركاً دوافعهم وهممهم.
- تشجيع الأطفال على إقامة العلاقة الحسنة فيما بينهم.
- إيفاء الأطفال حقوقهم من الوقت والعناية.
- وهذا لا يعنى أن أى فرد يقوم بتعليم وتربية الأطفال، وإنما اشترط « القابسى » فى المعلم (اقتصر القابسى على معلمى الكتاتيب) بعض الشروط هي:
- حافظاً للقرآن الكريم، وملماً بالنحو والشعر وأيام العرب.
- أن تتميز شخصيته بالطابع الدينى.
- أن يكون طيب السمعة.
- عدم انشغاله عن تعليم الصبيان.
- عدم طلب الهدايا منهم.

- عدم إرسال تلاميذه في قضاء حوائجه.
  - أما «إخوان الصفا» يرون أنه يجب أن تتوفر في المعلم الصفات التالية:
  - أن يكون تام الأعضاء.
  - أن يكون جيد الفهم سريع التصور لكل ما يقال.
  - أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره.
  - أن يكون فطناً ذكياً، ذا رأى يكفيه أدنى دليل ليتبين ويستدل على القضية التي يعرفها.
  - أن يكون محباً للعلم والاستفادة، منقاداً له، سهل القبول لا يؤله تعب العلم، ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه.
  - أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة.
  - أن يكون غير شره في الأكل والشرب.
  - أن يكون كبير النفس عالي الهمة يحب الكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين الأمور.
  - أن يكون راغباً في العلم لذاته، وألا يسيطر عليه حب المال.
  - أن يكون محباً للعدل وأهله، وأن يكون غير صعب القيادة ولا جموحاً.
  - أن يكون قوى العزيمة على الشئ الذي ينبغي أن يفعل.
- أما «ابن سينا» فقد أدرك حسن اختيار المعلم وحسن إعداده علمياً وخلقياً، حيث أن الدور الذي يلعبه المعلم، في تعليم الصبي يتجاوز حدود عرض المعلومات على الصبي، حيث أن الأطفال لا يتعلمون معلومات فقط، وإنما يكتسبون كثيراً من القيم والأفكار والعادات الطيبة، ولذلك يرى «ابن سينا» أنه ينبغي توافر مجموعة من الصفات فيمن يقوم بتربية الأطفال حيث يقول:

«وينبغي على مؤدب الصبي أن يكون عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان وقوراً ورزقياً، بعيداً عن الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال يحضره الصبي، غير كز (منقبض الوجه عابس) ولا جامد بل حلواً لييباً ذا مروءة، ونظافة ونزاهة، قد خدم سراة الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق السلوك، ويتعابرون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤكلة والمحادثة والمعاشرة».

يتضح مما سبق كما يرى بعض المربين أن «ابن سينا» قد تنبه إلى أن المعلم لا ينقل إلى طلابه المادة العلمية فقط، بل ينقل إليهم ما يؤمن به من قيم وأفكار وما يتحلى به من آداب وفضائل، وهو إن كان يقوم بنقل المادة العلمية بشعور منه وجهد، فإن الطلاب يأخذون عنه آدابه وفضائله بدون شعور منه أو جهد في عملية التعلم بالافتداء.

أما ابن مسكويه فيرى أنه من واجب المعلم أن يحرص على غرس القيم الإنسانية وتنمية الخير في المتعلم وتوجيه استعداداته الكامنة داخل نفسه من أجل أن يحقق الخير للناس، وألا يبخل المعلم بعلمه على أهل العلم أو على تلامذته، حيث إن العلم من وجهة نظره فن لا يستأثر به أحد، فإن أهل العلم يتبادلون علمهم بين بعضهم البعض، ولا يبخل أحد بعلمه على الآخر وخاصة تلامذته، فالعلم مودة ورحمة بين العلماء وبين الدارسين في نفس الوقت.

ويرى «ابن سحنون» أن من واجبات المعلم ما يلي:

- لا يحل للمعلم أن ينشغل عن الأطفال وهو يعلمهم اللهم في الأوقات التي تتخلل عمله، فلا بأس من أن يتحدث وهو يتفقدهم وعينه عليهم.
- يجب أن يتفرغ المعلم لتلاميذه.
- ينبغي أن يخصص المعلم لتلاميذه وقتاً لتعليم القرآن.

- لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبي على رأسه أو وجهه.
  - لا يجوز للمعلم أن يوكل كل تعليم الصبية لبعضهم، بل يجب أن يتولى ذلك بنفسه.
  - لا يجوز للمعلم أن ينشغل عن الصبيان بأن يكتب لنفسه أو لغيره.
  - على المعلم أن يختبر مدى تقدم الصبيان في التعليم.
  - على المعلم أن يخصص وقتاً معلوماً لمراجعة حفظ القرآن.
  - يجوز للمعلم أن يجعل صبياناً على بعضهم بعضاً لأن في ذلك منفعة لهم.
  - يجوز للمعلم أن يؤدب الصبيان إذا أذى بعضهم بعضاً.
- هذا بالإضافة إلى أن ابن سحنون يتفق مع القابسي على أن من واجبات المعلم ما يلي:

- ضرورة مراعاة التناسب بين الصبية عند الجمع بينهم في الأعمال والطباع فلا يجمع بين الصبيان والمراهقين، ولا يجمع بين الناشئين على السلوك السوي والمتخلفين بالأخلاق السيئة.
  - عدم الأخذ بالوشاية وبأقوال الصبيان في بعضهم، ووجوب مراقبة سلوكهم وأخلاقهم، وطرق معاملاتهم فيما بينهم وأشكال التواصل والتعامل بينهم.
  - وجوب التفقد الدائم والمراقبة المستمرة لسلوك الأطفال وتعليمهم.
- أما «الإمام الغزالي» فقد أدرك حاجة الطفل إلى المربي القدير الذي يحسن تربيته، ويعتنى بتوجيهه وإرشاده لينشأ نشأة صالحة، لذلك يقول «الإمام الغزالي» في كتابه (أيها الولد) «أعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مريد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً».
- فالعزالي أدرك الدور الذي يقوم به المعلم في تربية الأطفال، وهو تربيته تربية أخلاقية طيبة، ولذلك يمثل المعلم في نظره مكانة عظيمة يقول «ومن اشتغل

بالتعليم فقد نقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه». فالغزالي يؤكد على أهمية الاشتغال بالتعليم، ويعلى من قدر أصحابها ويعظمه من شأن وخطر المسؤولية الملقاة عليهم، وذلك نظراً للوظائف والأدوار التي يقوم بها، وقد حدد الغزالي الوظائف التي يقوم بها المعلم، ويمكن إنجازها على النحو التالي:

- الشفقة على المتعلمين، وأن يجربهم مجرى بنيه، ولذلك يرى أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين، وقد علل ذلك بأن الوالد سبب الوجود الحاضر في الحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية، وكما يرى أنه لولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، فالمعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة، ويقصد به معلم العلوم الشرعية والدينية، ولذلك يرى الغزالي أنه أصبح على المعلم أن يساعد تلاميذه على التحاب والتواد والتعاون.
- ألا يأخذ على التعليم أجراً، ولا يقصد به جزاءً ولا شكراً، وذلك إقتداءً برسول الله ﷺ، بل يعلم لوجه الله تعالى، وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم.
- أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينه عليه أن الغرض بطلب العلم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمناهاة والمنافسة، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن.
- من دقائق صناعة التعليم، أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح بهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار، وكما يرى أن التعريض يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه، فيفيد مزح التفضل لعناه - رغبة في العلوم به ليعلم أن ذلك مما لا يغرب عن فعلته.

- أن التكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه، فمعلم اللغة لا ينتقص علم الفقه، ومعلم الفقه لا ينتقص علم الحديث والتفسير، فهو يرى أن المتكفل بعلم واحد فينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وإن كان متكفلاً بعلوم أخرى، ينبغى أن يراعى التدرج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة.
  - أن يقتصر بالمعلم على قدر فهمه، فلا يلقى عليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله، وهذا يعنى أن المعلم ينبغى عليه أن يراعى مقدار فهم الأطفال، كما ينبغى مراعاة النضج العقلى لهم، وكما يرى أنه لا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم، ولم يكن أصلاً للانتفاع به فكيف بما لا يفهمه.
  - أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى المعلم إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبتة فى الجلى، ويشوش عليه قلبه.
  - أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعلة، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالإبصار، أرباب الأبصار أكثر.
- أما «ابن خلدون» فقد أدرك أهمية المعلم ودوره فى العملية التربوية، ولذلك فهو يرى أن المعلم ينبغى أن يكون ملماً بمجموعة من الصفات والمهارات التى تمكنه من عملية إتقان التعليم ومن أهم هذه الصفات ما يلى:
- الإلمام بفن التدريس من حيث الجمع بين الطريقة والمادة، فيكون المعلم متعمقاً فى مادته، وتمكناً منها، وملماً بطرق تدريسها للناشئة، وهذا يتطلب الإلمام بنفسية المتعلمين ودرجة استعدادهم ومواهبهم.
  - القدرة على التدريس اللفظى مع استخدام وسائل الإيضاح اللازمة والمناسبة لتوضيح المادة ووصفها فى مواقف مناسبة تقوم على التدرج والتكرار فى شرح محتوى المادة.

- القدرة على تهديد الأطفال والمتعلمين من خلال المعاملة الحسنة والتفاهم. دونما إفراط. فتكون المعاملة منبئة على توازن في اللين والقسوة، بما يحفظ على المتعلمين شخصيتهم ونفسياتهم في الإقبال على التعليم والتعلم بشوق ورغبة.
- استخدام القدوة الحسنة في التعليم، فيكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه باعتبار القدوة العملية أنجح الوسائل إلى تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل في النفوس، فالأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التي يرونها أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد.

ويرى معظم المربين المسلمين أن من صفات المعلم ما يلي:

- أن يكون ورعاً تقياً قائماً بفروض دينه.
- أن يكون على معرفة بأصول دينه.
- أن يحرص على تعليم غيره.
- أن يكون مجيداً للعلم الذي يدرسه، وأن يجيد توصيله لعقول الآخرين.
- أن يكون عاملاً بعلمه.
- أن يجرى المتعلمين منه مجرى بنية في التعهد بأحوالهم.
- أن يستعلم أسماء طلبته وحاضري مجلسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم وأن يوقر تلاميذه، وأن يعظهم ويحسن خلقه معهم، ويرحب بهم عند لقائه بهم.
- أن يكون وقوراً مع تلاميذه فلا يرفع التكليف بينه وبينهم ولا ينسب معهم.
- أن يكون رفيقاً بتلاميذه، وألا يعنفهم ولا يحقرهم ولا يستصغرهم.
- أن يوجه المتعلم إلى الفضيلة ويبعده عن الرذيلة بلحلف المقال، وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن.
- أن يعامل المتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله.

- أن يكون عادلاً بين تلاميذه وأن تكون معاملته لهم سواء دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الجاه أو السلطان.
- ألا يطبل الحديث ولا يكثر القول في أمر ما لدرجة الملل والسأم في نفوس التلاميذ.
- أن يخلص في تعليم تلاميذه وألا يبخل عليهم بتعليم ما يحسن.
- أن يكون أوسع الناس صدراً وأكثرهم صبراً وأجملهم لقاءً.
- ألا ينشغل عن تعليم تلاميذه بأي شيء آخر.
- ألا يستخدم تلاميذه لقضاء مصالحه وأغراضه الشخصية.
- أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه في كل شيء.
- أن يكون على فراسة في التعرف على قدرات المتعلم.

#### المنهج:

- أولى الفكر التربوي الإسلامي منهج تربية الطفل اهتماماً واضحاً، فالقاسبي يرى أن الغاية الدينية هي التي تحدد العلوم التي يدرسها الأطفال.
- ومن الملاحظ أن المنهج في نظر «القاسبي» ينقسم إلى قسمين هما:
- المنهج الإجباري ومن مقرراته القرآن الكريم، وبعض النحو والقراءة والكتابة.
  - المنهج الاختياري ويشتمل على الحساب والتعمق في الشعر وأيام العرب.
- ومن الواضح أن «القاسبي» يرى أن القرآن أول ما ينبغي أن يدرسه، بل هو المحور الذي يدور عليه التعليم في الكتاتيب، والقرآن مرجع العبادات ومصدر الخلق الكريم، وله فضائل عديدة، ويشترط «القاسبي» في تعلم القرآن حسن الترتيل، وجودة القراءة وصحة الوقف والأخذ عن مقرئ حسن، ثم ينصح بقراءة نافع.
- ويرى «القاسبي» أن تعليم الصلاة فرض عين بل ينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة حتى يعلمهم دينهم الذي هو تعبدهم لله ﷻ وسنة نبيهم، ثم يتعلم الأطفال اللغة العربية لفهم المعاني والنحو لإعراب الكلمات إعراباً صحيحاً حتى يميز الأطفال ويعرفوا أغراض المتكلمين.

ولا يقبل « القابسي » المتهاون في تعليم القرآن الكريم باعتباره الموجه والمصدر الأساسي والرئيسي لثقافة الأمة وحياتها، ولا يرى مانعاً من تعليم الناشئة العلم والصنائع التي تساعد على الحياة الكريمة، وبذلك يجمع بين الغرض الديني وهو التفقه في الدين والغرض الدنيوي وهو اكتساب العلم وإتقان العمل.

أما « ابن سينا » فقد اهتم بمنهج التربية للطفل، حيث يرى أن هناك منهج معين لمرحلة ما قبل سن السادسة، فهذا المنهج يشتمل على الرياضة والموسيقى، فالرياضة لتربية الطفل ونموه الجسدي والحركي، ولكي يتعلم عن طريقها كثيراً من العادات الخلقية والدهنية، فابن سينا وجه عناية كبيرة للألعاب والتربية الرياضية في تلك السن وكذلك في مرحلة التعليم الأولى وهو يكشف لنا عن دور الرياضة في التربية، وضرورتها في حياة الطفل، ويبين لنا أن الرياضة تختلف باختلاف الأعمار، وتختلف باختلاف قدرة الطفل.

وإذا كان « ابن سينا » اهتم باللعب والرياضة في تلك المرحلة فقد اهتم بالتربية الموسيقية، إذ كان « ابن سينا » خبيراً بهذا الفن كملف وكتؤد له في نفس الوقت، ومن ثم فقد كان خبيراً بما تحدثه الموسيقى في نفس الطفل من اللذة والطرب والظهر والسمو بجوار سمرين الطفل على إدراك ما في النعمة من اتفاق وتناظر وحدة وثقل وأسباب ذلك.

يتضح من ذلك أن الرياضة والموسيقى من أهم مواد المنهج في تلك المرحلة، يل هما الأدوات التعليمية اللتان تعدان الطفل لتلقى التعليم الأولى والمنظم في المرحلة التالية، كما يرجع اهتمام « ابن سينا » بهذين المنهجين في هذه المرحلة لاهتمامه بالنمو الحسي / الحركي والتربية الخلقية والوجدانية للطفل.

#### أساليب التدريس :

إن مسئوليات المعلم الملقاة عليه والتي أشار إليها رجال الفكر التربوي الإسلامي تتطلب أن يكون متقناً للطرق التربوية الناجحة عارفاً بالأسلوب الذي يصلح لكل موقف من مواقف العملية التربوية. ولهذا عرف المربين المسلمون كثيراً

من الأساليب التربوية ونصحوا باتباعها، فالقائسى يرى أن من الطرائق التعليمية التى يرشد المعلم إليها عدم نقل المتعلم من سورة إلى أخرى، أو من درس إلى درس، إلا بعد التأكد من إتقانه قراءة وحفظاً وكتابة.

كما يرى أن من الأساليب الابتعاد عن استعمال القراءة الجماعية فى تعليم القراءة، ويحلل « القائسى » ذلك بقوله لأن اجتماعهم فى القراءة بحضرته يخفى عنه قوة الحفظ من الضعيف، ولكنه لا يرى بأساً من القراءة الجماعية إذا كانت تنشط الأطفال.

أما « ابن سينا » فقد أشار إلى التدرج فى التعليم من البسيط إلى المركب، ويرى الاستعانة بالتعليم المحسوس للطفل، وهذا يبدو واضحاً عندما يقول « ابن سينا »: فإذا اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهياً للتلقين ووعى سمعه أخذ فى تعليم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين، وينبغى أن يروى الصبى الرجز ثم القصيدة، فإن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر ووزنه أخف.

يتضح من ذلك أن « ابن سينا » قصد بذلك ما كان شائعاً فى بلاده من تعليم الخط عن طريق الرسم فى اللوح، إذ كان المعلم يرسم للطفل الحروف الهجائية العربية ويكلف الحافل بحفظ هذه الحروف صوتاً وكتابة حتى يتقن كتابتها والنطق بها، ثم تاتى بعد ذلك المرحلة الأخرى وهى مرحلة تكوين المفردات والجمل، فالتعليم يبدأ بالحروف، وينتهى بالمفردات والجمل، وبعد ذلك يبدأ الصبى فى كتابة لوحه الذى يشتمل على بعض الآيات القرآنية التى يكلف بحفظها.

أما « الإمام الغزالى » فيرى أن طريقة تعليم الأطفال تختلف عن الطريقة التى تتبع فى تعليم الكبار، وقد نادى بهذا رأى حيث قال: إن من أول واجبات المربى أن يعلم الحافل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدى إلى ارتباكها العقلى وتنفره من العلم.

أما أخوان الصفا فيرون ضرورة التدرج في العلوم. إذ ينبغي عدم إعطاء العلم للمتعلم دفعة واحدة، لكن بالتدرج الذي ارتضوه والترتيب الذي رتبوه للعلوم في رسائلهم، ومعنى هذا أن تكون هناك معارف سابقة لما يليها من معارف، ولا ينتقل منها المتعلم إلا بعد أن يتقنها، جذب اهتمام التلاميذ إلى المادة المتعلمة وإثارة شوقهم إليها بالوسائل المختلفة من الأمور الواجب مراعاتها، وقام أخوان الصفا بتطبيق هذا المبدأ فاستخدموا الرموز والحكاية على لسان الطيور والحيوانات من قبل التشويق، ضرورة وضوح المادة المتعلمة أمام التلاميذ، والأثر الطيب في الموقف التعليمي يدفع إلى المزيد من الاجتهاد.

أما ابن جماعة فيرى عدم تطويل المعلم للدرس تطويلاً مملأً أو تقصيره تقصيراً مخللاً، بل يراعى في ذلك مصلحة التلاميذ، ألا يلقي المعلم إلى تلميذه ما لم يتأهل له لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه، كما ركز ابن جماعة على أهمية المراجعة والتطبيق في نهاية الدرس، وذلك لتثبيت المعلومات في ذهن التلاميذ، وركز على فهم التلاميذ لما يقدمه المعلم من معلومات، وعدم الاكتفاء بحفظها بدون فهم وذلك عن طريق الإعادة والتفكير.

ويرى الزرنوجي أن يكون أسلوب التدريس عن طريق المناظرة والمطالبة، ويرى أن يكون ذلك بالتأني والتأمل بعيداً عن الغضب.

أما ابن سحنون فيرى أنه لا بأس أن يجعل المعلم تلاميذه يملئ بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم ولينفق إملانهم ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها إلا أن يسهل له الآباء.

أما «ابن خلدون» فقد اهتم بأسلوب التدريس، وأهمية استخدام العلم لمختلف الأساليب التي تساعده على تبسيط المادة الدراسية مثل ضرب الأمثلة الحسية، كما أكد على أهمية الرحلات باعتبارها وسيلة لتحصيل الخبرة المباشرة، فالصلة في طلب العلم تيسر للمتعلم التعرف على كثير من مصادر الخبرة من

الطليعة كما تهيئ له التعرف على المتخصصين من رجال العلم والمعرفة في مواضعهم وعملهم.

وقد وضع «ابن خلدون» بعض القواعد الأساسية في التدريس، من أهمها:

١- التدرج والتكرار، فتعليم الأطفال ينبغي أن يكون قائماً على الإجمال، ثم بعد ذلك بالتفصيل تدريجياً، على أن يراعى المعلم درجة فوهم العلي واستعدادهم لتقبل ما يلقي عليهم، ويرى «ابن خلدون» أن التكرار مع التدرج يفيد في توضيح المعلومات وتثبيتها في أذهان الأطفال ويمكنهم من المهارة فيه والانتفاع به في الحياة العملية، وهذا يتفق إلى حد كبير مع الاتجاهات التربوية الحديثة.

٢- استخدام الوسائل المعينة، يرى «ابن خلدون» أنه يجب الاعتماد على الأمثلة الحسية في التدريس، حيث أن الأمثلة الحسية تساعد على فهم ما يلقي عليه، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن «ابن خلدون» يؤكد على أن الطفل يعتمد في تنظيم خبراته على حواسه، من هنا فإن هذه الوسائل تكسب التعليم مغزى أوسع وأكبر.

٣- الرحلات، يرى «ابن خلدون» ضرورة الرحلات وأهميتها لأنها تيسر كثيراً من مصادر الخبرة عن الطبيعة، وتوقف الأطفال على مشاهد لها أثر قوي في توضيح المعلومات وفهمها.

٤- ضرورة اتصال المادة العلمية، يرى «ابن خلدون» أن تكون الدروس التي تلقى على الأطفال في الدرس أو الموضوع متصلة لأن الانقطاع يؤدي إلى النسيان.

٥- عدم الخلط بين علمين في وقت واحد، ينادى «ابن خلدون» بأنه يجوز أن يعلم الناشئ علمين في وقت واحد، إذا كانت رؤية «ابن خلدون» كذلك، فهذا لا يتفق مع اتجاه التربية الحديثة التي تنادي بضرورة تنويع المقررات الدراسية لأن الطفل لا يتعلم الخبرة مجزأة.

٦- ألا يبدأ في تدريس القرآن الكريم إلا بعد أن يصل الطفل إلى درجة معينة من التفكير. يرى «ابن خلدون» أنه لا ينبغي أن تحمل الطفل على حفظ شيء لا يفهم معناه لأن الفهم شرط أساسي لجودة الحفظ. والطفل بطبيعته عاجز عن الفهم الدقيق لمقاصد القرآن الكريم ومعاني آياته.

كما أكد «ابن خلدون» على طريقة المحاورة والمناظرة والمفاوضة في المعلومات المختلفة للمعلم باعتبارها الطريقة الصحيحة في التعليم وتعمل على تحصيل ملكة العلم، كما يعيب على طريقة الحفظ عن ظهر قلب، ويعتبرها مسئولة عن تكوين أفراد ضيقى الأفق عقيمي التفكير لا يفقهون شيئاً ندى بال في العلم، وقد أشار في ذلك إلى الطريقة التي اتبعت في المغرب فيقول في المقدمة:

«وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يصل سند التعليم فيهم فحسر عليهم حصول الملكة والحدق في العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها، فنجد طالب العلم منهم بعد زهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً ولا يفاضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل نجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفلهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايته به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك.»

فمن الواضح أن ما أكد عليه «ابن خلدون» من أسلوب المناظرة والحوار يعتبر من أهم المهارات التي لا زالت تستخدم في التعليم، فالحوار طريقة تربوية تقوم على المناقشة بين المعلم والمتعلم وتستخدم في تمحيص الأفكار والمعلومات

للتأكد من صحتها أو خطئها وربما بدون حوار حول أمر مشكوك فيه لدى المتعلم ثم يسير الحِزار بطريقة متسلسلة حتى يصل إلى المرحلة اليقينية ويحصل الفهم. يتضح من ذلك أن رجال الفكر التربوي الإسلامي اهتموا بأسلوب المناظرة والحوار في التدريس، واعتبروه أسلوباً مفصلاً مجدياً في التعليم، ولكن رغم ذلك فقد احتاطوا من سوء استخدام هذا الأسلوب، فحددوا بعض الشروط التي تجعل منه أسلوباً فعالاً للتعليم من أهمها: أن يكون هدف المناظرة الوصول إلى الحقيقة لا التضليل وحب الانتصار بالباطل، كما اشترطوا في المناظرين الإلمام بموضوع المناظرة والتحلي بالهدوء وسعة الصدر وعدم التكلف.

كما نادى «ابن خلدون» بمراعاة التدرج في تعليم الأطفال ومراعاة قدراتهم إلا أنه يتميز عن الذين سبقوه فيما ذهب إليه بالقول بمبدأ التكرارات الثلاثة في عملية التعليم، تشير هذه التكرارات إلى ثلاث مراحل متدرجة في التعليم، يكون التعليم في المرحلة الأولى إجمالاً، وفي الثانية تفصيلاً، وفي الثالثة تعميقاً بدراسة ما استشكل في العلم ووسائل الخلاف فيه، وفي ذلك يقول «ابن خلدون»:

« إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان قائماً على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن في أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الأعمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ويوجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجرد ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيتُه إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل البعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ولا يتيسر عليه .. »

- وأشار البعض إلى ذلك: يرى «ابن خلدون» أن العملية برمتها يجب أن تحصل على ثلاث مراحل متعاقبة ينبري إلى تحديد أهدافها ووسائلها:
- المرحلة الأولى: وهي مرحلة تحضيرية هدفها تعريف التلميذ المادة المدرسية وتهيئته لإدراك مشاكلها، ويكتفى هنا إذاً بتقديم عرض عام عن تلك المادة مع التشديد على النقاط الأساسية وينبغي أن تكون الشروحات بسيطة وعمامة آخذة في الاعتبار استعدادات التلميذ للفهم والاستيعاب.
  - المرحلة الثانية: فإنها مرحلة التعمق يعمد خلالها إلى الإحاطة الشاملة بالمادة دون الاكتفاء بالمعلومات، فالشروحات والتعليقات ينبغي أن تركز في عمق المادة، وكما ينبغي عرض وجهات النظر.
  - المرحلة الثالثة: فهي مرحلة التثبيت والترسيخ وصولاً إلى التمكن التام من المادة التي تعاد هنا دراستها كلياً، مع التصدي في هذه المرحلة لأشهر النقاط تعقيداً وعموضاً.
- يتضح مما سبق أن «ابن خلدون» نبه على أحد المبادئ التربوية التي تدعو إلى التدرج من السهل إلى الصعب، والانتقال من معرفة الكل إلى تعلم التفاصيل الدقيقة، وهذا شيء مألوف في الحياة، حيث أن العقل البشري يبدأ بإدراك الأشياء العامة أولاً، ثم ينتقل إلى معرفة الجزئيات الصغيرة، ولذلك كان التدرج في عملية التدريس من القواعد الأساسية والمهارات اللازمة للمعلم.
- كما أكد على التكرار باعتباره عملية ضرورية للتأكد من فهم المتعلمين، خاصة وأن المتعلمين يختلفون في مستوى الفهم، فمنهم من يفهم الدرس من أول مرة. ومنهم من يحتاج إلى إعادة وتكرار مرة أو مرتين وخاصة في المسائل التي يكتنفها بعض الغموض.

## الثواب والعقاب؛

نالت قضية التواب والعقاب في تربية الطفل اهتماماً كبيراً لدى رجال الفكر التربوي الإسلامي، «فالقابسي» أقر عقاب الأطفال من حيث المبدأ، ولكنه نصح بالرفق معهم ثمشياً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو، ويرى «القابسي» أن ينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد وطالبة بأن يكون رقيقاً به عادلاً في عقابه غير متشدد فيه من الرفق، وألا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل وإنما ينبهه مرة بعد أخرى، فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب، وقد نهى «القابسي» عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب في العقاب، بل طلب من المعلم أن يترفق بالصبيان فيأذن لهم بالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب ثم يعودون، كما نهى «القابسي» من الانتقام في العقاب، ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان في حالة الغضب.

وأشار «القابسي» إلى اتباع أسلوب الترغيب والترهيب في معاملة الصبيان، كما أقر الضرب كعقوبة ولكن بشروط، من أهمها:

- لا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.
- أن يكون العقاب على قدر الذنب.
- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأن من ولي الأمر إذا زاد عن ذلك.
- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكله لواحد من الصبيان.
- أن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه والرأس أو الأماكن الحساسة من الجسم.
- أن آلة الضرب هي الدرة أو الفلقة.

يتضح من ذلك أن «القابسي» أقر العقاب، ولكن وضع بعض التحفظات عند عقاب الطفل، ولم يسمح بعقاب الطفل من أول مرة، وإنما يبدأ بنصحه وجعل

الضرب كعقوبة أخيرة وذلك عندما لا تفلح أساليب النصيح والإرشاد والعزل والتهديد.

ومن الملاحظ أن « القابسي » كما وضع شروطاً للضرب، فلم يغفل الأداة المستخدمة من الضرب، فقد وضع شروطاً لها، بأن يكون الضرب بالدرّة (الفلقة) وأن تكون رخيّة مأمونة لئلا تؤثر أثراً سيئاً فيقول: « والضرب على التعليم إنما هو لخطأ الصبيان، مما يصلح أن يضرهم به إنما هي الدرّة، وتكون أيضاً رطبة مأمونة لئلا تؤثر أثر سوء وقد أعلمت أنه يتجنب ضرب الرأس والوجه فما لهذا يضرب بالعصا واللوح ».

ويرى بعض المربين أن « القابسي » ينظر إلى الثواب والعقاب من زاويتين الأولى كفقّيه بأخذ من الزاوية الأولى الشرعية أي ما يجيزه الشرع في هذا المضمار والثانية كمرب ينظر إلى الجانب التربوي والتأديبي وما يتوجب على المعلم فيها، وقد وضع ذلك على النحو التالي: في العقوبة المرفق فيها الأساس ولكن « يستحب للمعلم التشديد على الصبيان »، لأنه هو الناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم والقائم بإكراههم على مثل منافعهم، فعليه أن يسوسهم بكل ما ينفعهم لكن بشرط أن لا يخرج في ذلك عن إطار الرحمة المفروضة به والمصلحة التي تعود إليهم.

ويتدرج « القابسي » في العقوبات حيث تبدأ بالعبوس والاستيحاء في الأوقات المناسبة لتقع فيهم موقع الأدب إلى الضرب (في بعض الأحيان) بقدر الاستئمال الواجب في ذلك الجرم، إذا العقوبة يجب أن تتناسب مع الجرم، ليكون لها مردود تأديبي وعقوبة الضرب لا يكون إنزالها بالطفل إلا على جرم تتناسب معها. أما في حالة الجرم الكبير فيستحق الطفل بها عقوبة أكثر من ذلك، فلا يجيز « القابسي » للمعلم إنزالها بالمتعلم إلا بعد استشارة أهله وأخذ موافقتهم في ذلك.

« وتكون بزيادة على ثلاث ما بينه وبين العشرة إذا كان الصبي يطبق ذلك »،  
أما ما يزيد عن العشرة فلا يجيزه « القابسي » إلا لمن بلع الحلم، ولن هوسبي  
الرعية، وغليظ الخلق ولا يريعه هذا العدد، إذ يحتاج أكثر ليستقيم.

وإمعاناً من « القابسي » في تحذير المعلم من الخروج عن الشرع في التأديب،  
وكي لا يحمل وزراً وإشأ يسئ للمتعلم، ينبه بأن لا ينزل العقوبة بالطفل وهو غضبان لتكون  
عقوبته بحدود العقل والشرع من ناحية، وتأتي في مصلحة الطفل من ناحية أخرى.

أما « ابن سينا » فيرى ضرورة العقاب من أجل تأديب الطفل وتعويدته على  
الصفات الحميدة، ويقول ابن سينا: « من الضروري البدء بتهديب الطفل وتعويدته  
مدوح الخصال منذ القطام قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة التي يصعب  
إزالتها إذا ما تمكنت في نفس الطفل، أما إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى  
العقاب فينبغي مراعاة الحيطة والحذر ».

ومن الملاحظ أن « ابن سينا » لم ينصح بالعقاب فقط بل يرى أن « المديح  
والتشجيع أجدى من التانيب، وبذلك وفق كل حالة خاصة ».

لكن إذا لم يكن المديح والثناء للطفل مجدياً بلجاً المربي إلى العقاب، حيث  
يرى « ابن سينا » أن احتياج المربي إلى الاستعانة بالعقاب الجسماني لم يحجم عنه  
ولا ضرر في اللجوء إليه سواء يتعلق الأمر بالناحية الخلقية أو الناحية العلمية،  
المهم ألا يتعود الصبي مفاسد الأخلاق منذ صغره، واللجوء إلى العقاب الجسماني  
لا يكون إلا بعد استنفاد كل الوسائل الأخرى.

وينصح « ابن سينا » المربي أو من يقوم بتربية الطفل في حالة استخدام  
العقاب عند الضرورة بالآتي: « أن يراعى المربي بأن يكون منتهى الحيطة والحذر  
وأن يكون حكيماً في عقوبته، لا يعامل من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة  
واحدة. وإنما يستخدم العقاب المناسب للخلأ وإلا يلجأ للعنف عند أول خلأ يقع  
من المعلم بل يستعمل الرفق والحلف، ألا يبالغ في الضرب حتى لا يؤدي إلى البلادة

وانعدام الأمل الذى به يتم الانصراف عن الأفعال القبيحة والسلوك الذى يراد تغييره وعدم تكراره».

ضرورة أن تكون الضربة الأولى موجعة لحسم الموقف والقضاء على ما يكون قد نشأ لدى الطفل من استخفاف بالضرب كعقوبة يمكن احتمالها، كما ينصح بالتدرج فى عقاب الطفل فىرى ألا يؤخذ الوليد أولاً بالعنف وإنما بالتلطف ثم تَمَرِّج الرغبة بالرهنة، وتارة يستخدم العبوس أو ما يستدعيه التأنيب، لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد، وتوسط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب فى نفس الصبى.

أما «ابن مسكويه» فىرى التأكيد على الجانب النفسى للطفل عند الثواب والعقاب، ويؤكد على الجوانب الإيجابية فى النفس، ولهذا فإنه وضع بعض أساليبه لتربية وتأديب الطفل منها المدح حيث يعتبر من أهم هذه الأساليب، إذ أن مدح الطفل على ما يفعل من الأمور الطيبة والمقبولة من الكبار، يؤكد على الأمور الحسنة ومنها التشجيع على الترفع عن اشتهاى بعض الأشياء المحببة للنفس مثل المأكول والمشرب والملابس الفاخرة، والتشجيع هنا يكون بتزيين الابتعاد عن هذه الأمور والاكتفاء منها بالضرورى القليل، ومنها أيضاً تحبيب الأخلاق الكريمة إليه مثل إثارة غيره فى المأكول والمشرب على نفسه، والاقتصار على الشئ المعتدل وأيضاً التحذير من العقوبة والتخويف من المذمة على أى قبيح يظهر منه.

أما فى حالة العقاب والترهيب فىرى «ابن مسكويه» أن يكون بالتدريج فإذا خالف الطفل فى بعض الأمور التى ذكرت له ونهى عن اتیانها، وفى هذه الحالة يتم التغافل عما فعله خاصة إذا أدرك هو الخطأ واجتهد فى ستره وإخفائه عن الآخرين، وإذا كان من الضرورى توبيخ الصبى على ما فعل كى لا يعاوبه فإن التوبيخ يكون سراً، أما العقوبة البدنية أو الضرب هى العقوبة التى يمكن أن يلجأ إليها المؤدب، إذا لم تنجح الأساليب السابقة وإذا دعت إليه الحاجة.

ويهتم «الإمام الغزالي» أيضاً بأسلوب الثواب والعقاب والتأديب في تربية الطفل، وفي هذا الصدد وجه العديد من النصائح للمربي، ينبغى اتباعها عندما يقرر عقاب الطفل، ومنها:

- ألا يكون العقاب لكل أمر بل الأفضل التغاضي عن بعض الأمور، إذا خجل الطفل منها وتستر لإخفائها.

- لا يكون العقاب علناً حتى لا يشجع الطفل على تعود الخطأ.

- يجب أن يقل من العقاب حتى لا يتعود الطفل المهانة ويهون عليه سماع اللوم والتأنيب.

ولا يفهم مما سبق أن «الإمام الغزالي» أكد على العقاب فقط لتربية الطفل، وإنما ينصح «الغزالي» بمدح المتعلم وتكريمه على ما يقوم به من أفعال حسنة.

ويشير هذا إلى أهمية الثواب في تربية الطفل، وعدم اللجوء إلى العقاب إلا في الحالات الضرورية.

أما «ابن خلدون» فقد تعرض لقضية الثواب والعقاب في تربية الطفل، وقد تعرض في مقدمته إلى موضوع الشدة في التعليم، فيتحدث عن ذلك تحت عنوان «في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم»، ويرى أن هذا الأسلوب يصيب الأطفال الصغار بالضرر، ويرى «ابن خلدون» في هذا الشأن: أن إرهاق الجسد في التعليم مضرّاً بالتعليم سيما في أصغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرياه بالعسف والقهر من المعلمين أو المالك أو الخدم سلباً به على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك، وصارت له عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية المدافعة عن نفسه ومنزله وصار عبلاً على غيره في ذلك بل وكلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها

ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد فى أسفل السافلين، فينبغى للمعلم فى متعلمه والوالد فى ولده أن لا يستبدوا عليهم فى التأديب.

يتضح من ذلك كما يرى بعض المربين أن « ابن خلدون » بوصفه هذا الحال لمن رعى على القهر والشدة من الأطفال قد سبق علماء النفس تبعاً لذلك إلى سوء معاملة المربين من أهل ومعلمين ومنشأ ذلك كله الكبت الذى يحصل فى النفس بسبب القهر والشدة فى المعاملة.

ومن الملاحظ أن « ابن خلدون » افترض أن طبيعة نفس الطفل إنسانية مشرقة منبسطة ذات نشاط وفعالية، تنزع إلى الحجة والتمدن والخلق الجميل. ولهذا فإنه يرى استخدام الثواب والعقاب لتكوين دوافع المتعلم، ولهذا وضع بعض الشروط التى ينبغى مراعاتها فىمن يقوم بتربية الطفل، وهى:

- أن يلجأ المربى للثواب والعقاب بحكمة وعناية بالغنين.
  - عدم الشدة والقهر عند عقاب الطفل لما يترتب على اتباع هذا الأسلوب من آثار سلبية منها إذلال نفسية الطفل ويذهب نشاطه وعقله المتفتح ويؤدى به إلى الكسل والكذب لا ليتجنب العقاب.
  - ألا يلجأ المربى إلى استخدام أسلوب العقاب إلا بعد استنفاد جميع وسائل الترغيب والترهيب.
  - أن يقدم العقاب فى صورة توجيه وإرشاد بأساليب عملية تساعد الطفل على تجنب أخطائه أو الاستمرار فيها.
- وهذا يمكن القول أن المربين المسلمين أقروا مبدأ العقاب للطفل، لكنهم طالبوا الرفق به تمشياً مع روح الإسلام التى تتسم بالرحمة والعفو، وعدم مبادرة المعلم بالعقاب إلا إذا أخطأ الطفل، والمطلوب أن يقوم بتنبيهه مرة تلو المرة فإذا لم يستجب الطفل للنصيحة لجأ المعلم إلى العقاب.

كما اشترط المربون المسلمون فى العقاب استخدام أسلوب الحرمان من الأكل والشرب لماله من أثر على صحة الطفل فى هذه المرحلة. وأقروا الضرب كعقوبة ولكن بشروط، منها:

- لا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة.
- لا يجوز ضرب التلاميذ الذين تقدمت أعمارهم.
- ألا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب وللضرورة القصوى ولا يكثر فيه.
- أن يكون العقاب على قدر الذنب وعدم التشفى.
- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأذن ولى الأمر فيما زاد عن ذلك.
- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكل غيره من الصبيان.
- أن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه والرأس أو الأماكن الحساسة من الجسم.
- أن تكون آلة الضرب هى الدرة وأن يكون عودها رطباً.

